الجمهوريّة الجزائريّة الديمقراطيّة الشّعبيّة
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي التّبسي ـ تبسّة ـ
كليّة الآداب واللّغات
قسم اللّغة والأدب العربي

أفعال الكلام في خطب الحجّاج بن يوسف الثّقفي

ـ مقاربة تداولية ـ

مذكرة تخرج مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص: لسانيات الخطاب

إعداد الطّالبتين:

* دلال حفظ الله

* عبير بن جدة

إشراف الأستاذة:

* سعاد عطاء الله

الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
عليّة بيبيّة	أستاذ	جامعة العربي التبسي	رئيسًا
سعاد عطاء الله	أستاذ محاضر ـ ب ـ	جامعة العربي التبسي	مشرفًا ومقررًا
رزيق بوزغاية	أستاذ	جامعة العربي التبسي	عضوًا مناقشًا

2022/ 2021

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قال الله تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾

البقرة ـ 152 ـ

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة العقل وأنار بصيرتنا وأرشدنا إلى طريق العلم وهدانا دوما إلى ما فيه الصَّلاح والثّبات وجعل لنا من الصّعب هيّنًا وأمدنا بتوفيقٍ منه لإتمام هذا العمل، فله وحده جلّ جلاله حمدًا يليق بجلال وجهه وعظيم فضله علينا وعلى النّاس أجمعين.

ألف شكر إلى من قيل فيهم ﴿ من علّمني حرفًا صرتُ له عبدًا ﴾ جميع الأساتذة الذين

ساهموا في تكويننا طيلة مشوارنا الدّراسي، وألف شكر إلى الأستاذة الفاضلة "سعاد عطاء الله" التي أشرفت على هذا العمل وأعطت النّصائح والتوجيهات التي أسهمت في اكتماله ونرجو لها دوام الصّحة والعافية ومزيد من النّجاح والتألق.

كما نتوجه بشكر خاص للأستاذ "رزيق بوزغايةّ" الذي دعمنا كثيرا وكان معنا في كل خطوة من خطوات البحث وكان كريما علينا ولم يبخل علينا بإرشاداته التي جعلت بحثنا يأخذ مساره الصحيح.

ونوجه شكرنا إلى كلّ من مدّ لنا يد العون وساهم في إنجاز هذا العمل، وشكرنا موصول لجميع أساتذة ورئيس قسم اللُّغة والأدب العربي وكل إطارات القسم وعمّال المكتبة.

الإهداء

إلى الذي أزاح الشّوك من طريقي وأحاطني برعايته حتى أصل إلى النّجاح تاج رأسي (**أبي العزيز**) .

إلى التي رودتني عطفاً وأمطرتني حناناً وزودتني تشيجعًا قرة عيني (**أمي الحبيبة**) .

إلى شموس حياتي (**أسامة، علي، هديل، أسماء**)

إلى رفيقات الدرب (**عبير، آسيا، سامية، شهرزاد**) .

إلى صديقتي التي كانت معي في أحلك الأيام وكذلك أجملها وزميلتي في هذا البحث (**عبير**) .

معًا زرعنا بذرته ومعًا نحصد ثمرته.

دلال

□

الإهداء

إلى من حملتني في بطنها وهنا على وهن ولا زالت تحملني برعايتها

وحنانها (**أمي الحنون**)

إلى من كان سندي في مشواري وأغدق علي بعطائه وتمنى دوما أن

أكون فخرا له في حياته (**إليك يا أبي**)

إلى إخوتي الذين ينبض بحبهم قلبي ويطوف بذكراهم خيالي .

إلى رفيقات المشوار (**دلال، آسيا ، سامية، شهرزاد،**)

إلى مؤنسة الدرب وزميلتي في هذا العمل (**دلال**)

إليهم جميعا ومن صميم القلب أهدي ثمرة ما هداني الله تعالى إليه هذا

العمل المتواضع

عبير

مقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، فصلاةٌ وسلامٌ على سيد الخلق وخير الآنام وخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من اتبع سنته واهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد:

مقدِّمة :

شكَّلت اللغة الإنسانية محور انشغال للعلماء والدارسين على مرِّ العصور لكونها الوسيلة الأفضل لأداء تواصل إبلاغي هادف؛ وهو ذلك التواصل الذي تتم فيه عملية الفهم والإفهام بنجاح. فاختلفت المناهج وتعددت المسالك للوصول إلى فحوى اللغة بأشكال عديدة، فمن أحدث النظريات التي تبنَّت الحدث التواصلي "النظرية التداولية" التي انشغلت بالعملية التواصلية مهتمةً بأدق تفاصيلها وهي النظرية الأبرز لكونها تتفقد كل أطراف الخطاب من متكلم ومخاطب ورسالة، وتتجاوز ذلك لتبحث في مقاصد المتكلمين وتأويلات وقراءات المتلقين؛ لأنّها عالجت الظاهرة اللغوية بالاعتماد على نظريات متنوعة أهمها: الحجاج، والاستلزام الحواري، ومتضمنات القول، وأفعال الكلام .....

ولعل أبرز مبحث اعتبره الباحثون أهم هذه المباحث هو أفعال الكلام وهي نظرية شغلت حيزا كبيرا من الدراسات التداولية. ولقد أكسبت تداولية أفعال الكلام لتحليل الخطاب بعدا جديدا كونها نظرت إلى الكلام انطلاقا من قدرته على خلق قوى إنجازية تؤدي غرض المتكلم، وهذه الأفعال تغرض إلى إنجاز الأشياء بالكلمات، وإلى وصف الوقائع والمواقف الذاتية والاجتماعية بواسطة الألفاظ والعبارات، كما ترمي إلى إقناع المتلقي والتأثير عليه ليتَّجه نحو فعل ما، أو حمله على ترك فعل معين، وتتنوع الأفعال الكلامية من سياق لآخر وتكون من أجل: الإعلان عن شيء ما، أو إصدار حكم معين، أو إطلاق وعد، أو البوح بشعور معين ...

وكان عنوان موضوعنا هو "أفعال الكلام في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي ـ مقاربة تداولية ـ" الذي كانت إشكالية البحث فيه قائمة أساسا على إيجاد طريقة للوصل بين التحليل التداولي وآلياته والنص الأدبي ونزع هذا الجفاء الذي بينهما، لأن التداولية لطالما كانت ميدانا وسع كل أنواع النصوص حتى الأدبية منها؛ فدراسة التداولية للنصوص العادية تختلف اختلافا تاما عن دراسة النصوص الأدبية، كما أننا حاولنا إثبات مدى نجاعة التحليل التداولي في الكشف عن مكنونات النص والوصول إلى كل ما يحمله الخطاب الأدبي من معاني انطلاقا من مجموعة من التساؤلات المطروحة وهي:

ـ كيف تجلَّت أفعال الكلام في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي؟ وما هي أكثر الأفعال الغالبة فيها؟

ـ ما هو تأثير الأساليب المجازية على مقصدية الخطاب في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي؟

ـ كيف تسهم المعايير النّصية في صنع الفعل الكلامي في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي؟

ولقد اخترنا في هذا البحث التعامل مع نظرية أفعال الكلام باعتبارها النظرية الأكثر بروزا في الحقل التّداولي، ولقد صادفتنا بحوث كثيرة سابقة قد ترصدت هذه النظرية ودرستها ضمن أُطر مختلفة نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر:

ـ الأفعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة) ـ دراسة تداولية ـ، لـ "محمد مدور"، أطروحة دكتوراه.

ـ سياق الحال في الفعل الكلامي ـ مقاربة تداولية ـ، لـ "سامية بن يامنة"، أطروحة دكتوراه.

ـ الأفعال الكلامية في سورة الكهف ـ دراسة تداوليَّة ـ، لـ "آمنة لعور"، مذكرة ماجستير.

ـ الأفعال الكلامية في خطب الشيخ البشي الإبراهيمي، لـ "باجي بن عودة" مذكرة ماجستير.

ـ الإشاريات وأفعال الكلام في قصيدة "المومس العمياء" لبدر شاكر السَّياب، لـ "رانية قمداني" و"ياسمين بوعقال"، مذكرة ماستر.

وقد درست هذه البحوث مدوناتها بشكل لساني منطقي ولكنها لم تهتدِ إلى دراسة الأساليب المجازية فيها والغوص في المظاهر البلاغية التي تشارك بقسط كبير في صناعة الفعل الكلامي كما أنَّ بعضها لم يقر بدور النَّصية في تشكيل بنية الفعل الكلامي.

وقد آثرنا الخوض في هذا الميدان دون غيره لرغبتنا في التقرب منه والتعرف عليه عن كثب؛ لأنَّه موضوع حديث على السَّاحة اللغوية ولايزال طازجا ويستحق الاكتشاف، واخترنا خطب الحجاج بن يوسف الثقفي لأنّها كانت إحدى الدُّرر التي بقي التاريخ شاهدا عليها لما حملته من بلاغة وإتقان ولأنّها كانت النَّص الذي وفر لنا الأرضية الخصبة للدراسة والتَّحليل لاحتوائها على مقدار كميٍّ مناسبٍ للظواهر اللغويَّة المطابقة لموضوعنا كما دفعتنا رغبة ملحَّة في الغوص في التراث العربي لا سيما ما جاء في فن الخطابة.

وكان منهج بحثنا تداوليا سعينا من خلاله في البحث عن المقاصد الإبلاغية في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي انطلاقا من تطبيق الأفعال الكلامية عليها، مما حتَّم علينا تقسيمه إلى فصلين تعلوهما مقدمة وتقفوهما خاتمة:

أما الفصل الأول فكان نظريا يحتوي على"مفاهيم أساسية في حول التداولية وأفعال الكلام" ناقشنا ذلك ضمن مبحثين فالمبحث الأول تحدثنا فيه عن التداولية من حيث مفهومها ونشأتها

وتطورها كما تطرقنا لقضاياها مثل: الحجاج، ومتضمنات القول، والاستلزام الحواري، والإشاريات... مُرجئين أبرز قضية فيها للمبحث الثاني وهي قضية أفعال الكلام حيث تحدثنا عن نشأة النظرية وتطورها وعن مفهوم الفعل الكلامي وعناصره وأنواعه حسب تقسيم كل من "جون أوستين "و"جون سيرل ".

أما في الفصل الثاني وكان معنونا بـ "أفعال الكلام في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي" وضمَّناه ثلاثة مباحث، المبحث الأول جاء لعرض أفعال الكلام في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي حسب تصنيف سيرل الذي اعتمدناه في الدراسة وقد قسم الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف وهي: الوعديات، الإخباريات، التوجيهيات، التعبيريات، التصريحيات، ولقد جعلنا لكل منها مطلبا خاصًّا، وتمّ ترتيب هذه الأفعال بحسب نسب حضورها في الخطب، فبدأنا من الفعل الغالب حتى الوصول إلى الفعل الأقل حضورا. أمَّا في المبحث الثاني فحاولنا فيه التطرق إلى الأساليب المجازية والمظاهر البلاغية الموجودة في الخطب لكونها تزخر بها كثيرا ولا يمكن لأي باحث قرر دراستها أن يتخطى ذلك. أما في المبحث الثالث، فأردنا معالجة الفعل الكلامي والنص في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي، ذلك أن كل خطبة تمثل نصا بذاته وهذا النَّص بدوره يمثل فعلا كلاميا ولأنَّنا نحاول أن تكون دراستنا شاملة فإنَّنا عرّجنا على مفهوم النَّص والنَّصية وذكرنا معايير النَّصية داعمين ذلك بنماذج من الخطب التي تمثل أفعال كلامية بمساهمة أجزاء النص وعناصره.

والخاتمة ضمَّت إجمال النتائج التي توصلنا إليها من البحث.

وبالنسبة للمصدر الذي استقينا منه مدونتنا هو كتاب جمهرة خطب العرب لـ "أحمد زكي صفوت" الجزء الثاني، والذي كان مرافقا أساسيا لنا طيلة مشوار البحث إلى جانب مجموعة من المصادر والمراجع الأخرى.

وقد كانت رحلة بحثنا محفوفةً بعديد من الصُّعوبات، إلا أن ذلك لا يمنع أنها كانت ممتعةً وشيِّقةً وموفَّقة، ومن أهم الصُّعوبات التي اعترضتنا هي قصر الوقت، وكذلك افتقار المراجع للجانب التطبيقي على الرغم من كثرتها؛ وهذا دليل على أنَّ هذا العلم لا يزال جديدا على الساحة اللغوية. لكنَّنا بتوفيق من الله عزَّ وجلَّ وكذا بفضل توجيهات الأستاذة المشرفة "سعاد عطاء الله" التي كانت تساندنا بتوجيهاتها ونصائحها القيمِّة التي أعطت لهذا البحث شكله الكامل وبفضل عزيمتنا وثباتنا استطعنا تجاوز كل العقبات وتذليل كل الصعوبات.

الفصل الأوّل

مفاهيم أساسيّة حول التّداوليّة وأفعال الكلام

تمهيد.

- **المبحث الأوَّل: التَّداوليَّة.**

المطلب الأول: مفهوم التَّداوليَّة.

المطلب الثاني: نشأة التَّداولية وتطورها.

المطلب الثالث: قضايا التَّداوليَّة.

- **المبحث الثاني: أفعال الكلام.**

المطلب الاول: نشأة أفعال الكلام وتطورها.

المطلب الثاني: مفهوم الفعل الكلامي.

المطلب الثالث: عناصر الفعل الكلامي.

المطلب الرابع: أنواع الفعل الكلامي.

تمهيد:

سادت الدِّراسات اللسانية في السَّاحة اللُّغوية مدةً ليست بالقصيرة، التي كانت تحاول مقاربة اللغة بمناهج متعددة اعتمادا على القوانين الدَّاخليَّة لها، لاسيما التيارين البنيوي والتَّوليدي، أمَّا في ظلِّ التَّطورات الحاصلة والتى تسير بوتيرة متسارعة لم تعد هذه القوانين كافية؛ لأنَّه فضلا عن مكونات اللُّغة ومركباتها الدَّاخليَّة فهي أيضا لها أبعادها: النَّفسيَّة والاجتماعيَّة والتَّاريخيَّة والثَّقافيَّة... ولأن النَّظريات المعاصرة أقرَّت بقصور هذه المناهج عن بلوغ دراسة شاملة للظاهرة اللغوية فإنها ارتأت استبدالها بنوع جديد من الدراسات، ومن بين هذه التوجهات اللسانية نجد " التَّداوليَّة" التي سعت إلى تجاوز دلالة بنية النَّص المنغلق على نفسه إلى محاصرة بنية الخطاب من خلال الإحاطة بكل وقائعه، باعتبار أن الخطاب يمثل رسالة لغوية يستطيع بها المخاطب تأدية الوظيفة التواصلية مع محيطه. وقد جاءت التَّداوليَّة لتدرس اللغة في إطار الاستعمال، ويندرج تحت هذا الاستعمال جملة من المقولات التي تراعي المقام وهي: الاستلزام الحواري، السياق، الافتراض المسبق، القول المضمر، نظرية الملاءمة، الحجاج، أفعال الكلام.

أمَّا نظرية الأفعال الكلاميَّة وحسب عدد كبير من الدارسين الذين يعتبرون أنّها هي اللَّبنة الأولى التي تأسَّست عليها اللِّسانيات التَّداوليَّة ونشأت منها باقي أفكار هذا التيار، وإنَّها قد استندت في بنائها على الفلسفة التَّحليليَّة ثم فلسفة اللُّغة فكلُّ هذه التَّوجهات قد ركزت على الجانب الإنجازي والفعلي الواقعي للُّغة، والفيلسوف الألماني "جون أوستين" كان أول من أخذ زمام المبادرة بأنْ تولّى تطويرها فجعل أفعال الكلام عناصر وجعل لها أنواعا مختلفة ثم خلفه في ذلك "جون سيرل" الذي أضاف تعديلات تنمُّ عن فلسفة خاصَّة وبعد نظر تميَّز بهما هذا الأخير، فكلٌّ منهما كان له باعٌ في إثراء هذا الميدان بتقسيمات وعناصر اقترحاها.

❖ المبحث الأوّل: التّداوليّة.

المطلب الأول : مفهوم التّداوليّة:

أ. التّداوليّة لغة:

تنوعت المعاني اللغوية وتعددت في المعاجم العربية للجذر (د و ل) فمنها ما جاء في كتاب العين: «الدُّولة والدَّولة لُغتان، ومنه الإدالة؛ قال الحجَّاج: إنَّ الأرضَ ستُدال منَّا كما أدَلْنا مِنها، أي نكون في بَطْنها كما كنَّا على ظَهْرها.»[1]، وقد وردت في معجم مقاييس اللغة على أصلين «أحدهما يدل على تحوّل الشيء من مكان إلى آخر، والآخر يدلُّ على ضعف واسترخاء، فقال أهل اللُّغة اندالَ القومُ إذا تحوَّل من مكان إلى آخر، ومن هذا الباب، تداول القوم الشيء بينهم، إذا صار بعضهم إلى بعض، والدَّولة والدُّولة لغتان، ويقال الدُّولة في المال و الدَّولة في الحرب.»[2]، أما في أساس البلاغة فنجد «دالت له الدولة ودالت الأيّام بكذا وأدال الله بني فلان من عدوُّهم، جعل الكرّة لهم عليه...، وإليه يداول الأيام بين الناس مرَّة لهم ومرَّة عليهم، والدَّهر دُوَلٌ وعُقَبٌ ونُوَبٌ.»[3]وعليه مادة (دول) في المعاجم العربية تتمحور حول:

- ✓ التحوُّل والتبدُّل والتغيُّر.
- ✓ الانتقال من حال إلى حال.
- ✓ المشاركة بين الناس.

ب. التّداوليّة اصطلاحا:

لاشك أن تحديد مفهوم التّدواليّة ليس بالأمر اليسير وذلك لعدم وضوح حدودها وتعدد مشاربها وتداخلها مع علوم أخرى مما أكسبها مجالا غنيا وواسعا وعسيرا في الوقت ذاتها؛ وكلَّها عوامل أسهمت في تباين وتنوُّع تسمياتها منها: التّداوليّة، الوظيفيَّة، علم التَّخاطب، البراجماتيَّة، التَّخاطبيَّة، النَّفعيَّة، الذَّرائعية... أما عن الأصل للبراجماتية pragmatics فهي مُستمدَّة من الجذر pragma كما أنَّ هذه «الكلمة مشتقة من الكلمة اليونانيَّة pragmata ومعناها الفعل. وقال البعض أنَّها مشتقة من الفعلprasso أو pratto أو prattein ومعناها "افعل"»[4] فكانت انطلاقة الباحثين المحدثين في

---

[1] ـ الخليل بن أحمد الفراهيدي،كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، منشورات دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1424هـ 2002م، ج2، ص60 (مادة : دول).

[2] – الحسين أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (دط)، القاهرة، مصر، (مادة : دول).

[3] ـ محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ج1، ص 303، (مادة : دول).

[4] – رالف وين، قاموس جون ديوي للتربية، تر: محمد علي العريان، مكتبة الأنجلو المصرية،، (دط)، القاهرة، مصر1964م، ص45.

التَّداوليَّة من الأرضيَّة الفلسفيَّة والمنطقيَّة.

وقد كان أقدم تعريف لها عند" شارل موريس" Ch.Moris بقوله أن «التَّداوليَّة جزء من السِّيميائيَّة التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات.»[1]؛ إذن التَّداوليَّة في نظره لا تقتصر على دراسة ما هو لساني فحسب بل تتعداه إلى كل ما هو سيميائي بدراستها للعلامات والإشارات التي يتواصل بها الإنسان وغيره.

وأشار كل من"ماري ديبر" و "فرانسوا ريكاناتي" إلى أنَّ التَّداوليَّة «هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة على ذلك مقدرتها الخطابية.»[2] وقريبًا من هذا نجد تعريف "دي بوجراند" الذي يصنف «الجانب للُّغة تحت مفهوم التَّداوليَّات (Pragmatics).»[3] يتَّضح من هذين التَّعريفين أنَّهما يشتركان في كون التَّداوليَّة تهتم باللُّغة المستعلمة في المقامات المختلفة، مراعية في ذلك أغراض المتكلِّمين وأحوال المخاطَبين.

يرى "فرانسيس جاك" بأن التَّداوليَّة «تتطرق إلى اللغة في أبعادها الخطابيَّة والتَّواصليَّة والاجتماعيَّة معًا.»[4]، فالتَّداوليَّة تخطَّت دراسة الصُّورة الشَّكليَّة المنغلقة عن الخارج لتلج إلى الإطار الاستعمالي للغة بكل ما يحمله من سياقات: اجتماعيَّة، ثقافيّة، مقاميَّة...

لم يكن اهتمام العرب بالتَّداوليَّة أقل درجة من نظرائهم الغرب فقد كانت هناك محاولات جادة لمنحها تعريفا واضحًا وشاملًا والإحاطة بكافة جوانب المنهج التَّداولي تنظيرًا وتطبيقًا ومن تلك التعريفات:

ونجد "طه عبد الرحمن" الذي يبرر سبب تفضيله لمصطلح "التداوليات" على غيره من المصطلحات فيقول «وقد وقع اختيارنا على مصطلح التَّداوليّات مقابلًا للمصطلح براغماتيقا. لأنَّه يوفي المطلوب حقَّه باعتبار دلالته على معنى الاستعمال والتَّفاعل معًا.»[5] لقد ترجم الباحث المغربي مصطلح Pragmatics إلى مصطلح التَّداوليَّة الذي أخذه الدَّارسون عنه ولقي رواجا فيما بعد بين أوساط الباحثين.

ويقول "مسعود صحراوي" في إطار تفريقه بين المنهج البنيوي والمنهج التَّداولي «... ليست علمًا لغويا محضًا بالمعنى التقليدي، علمًا يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية ويتوقف عن حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج من ثم

---

[1] – فرانسواز أرمينكو، المقاربة التَّداوليَّة، تر: سعيد علوش، دار الإنماء العربي، الرباط، المغرب، (دط)، 1986م، ص08.

[2] – المرجع نفسه، ص08.

[3] - روبرت دي بوجراند، النَّص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1998م، ص83.

[4] – محمد محمود السيد، الدرس التَّداولي في ضوء علم الغة الحديث، مكتبة دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (دط)، 2010م، ص06.

[5] ـ طه عبد الرّحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط2، 1996م، ص244.

مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره.»[1]

في حين يرى "صلاح فضل" أن «التَّداولية هي أحدث فروع العلوم اللغوية وهي التي تعنى بتحليل عمليات الكلام والكتابة، ووصف وظائف الأقوال اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التواصل بشكل عام.»[2] وقريبًا من هذا نجد قول "فان دايك" الذي يرى أن البراجماتية هي العلم الذي يقوم «بتحليل الأفعال الكلامية ووظائف منطوقات لغوية وسماتها في عملية الاتصال بوجه عام.»[3] ؛ نجد أن كليهما قد ركز على الجانب الإجرائي للتَّداوليَّة في تحليل الخطاب والأفعال الكلامية والتي تعد من أبرز نظريات المنهج التَّداولي.

أمّا "محمود أحمد نحلة" فينفي عنها الانتماء إلى أيّ من مستويات الدّرس اللُّغوي أيًّا كان (صوتيا، صرفيا، نحويا، دلاليا) فهي «لا تقتصر على دراسة جانب محدد من جوانب اللُّغة، بل من الممكن أن تستوعبها جميعًا.»[4] فهي شاملة في وسعها أن تحيط بكل تلك الجوانب في آن واحد.

وإنَّ التَّداوليَّة أو البراجماتيَّة كما يحبِّذ الكثيرون تسميتها هي علم إجرائي يدرس اللغة خلال الاستعمال تضيف إلى المستويات اللسانيَّة (الصوتيَّة، الصرفيَّة، التَّركيبيَّة، المعجميَّة) عامل السَّياق الذي أضاف إلى الدِّراسة عناصر جديدة، فهو يساعد على فهم الملفوظات اللغوية والأفعال الكلاميَّة والإحاطة بالمعنى بشكل أفضل.

[1] ـ مسعود صحرواي، التَّداوليَّة عند علماء العرب،"دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص16.

[2] - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، (دط)، 1992م، ص08.

[3] ـ تون فان دايك، علم النَّص (مدخل متداخل الاختصاصات)، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2001م، ص114.

[4] ـ محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللُّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعيَّة، (دط)، 2002م، ص10.

المطلب الثاني: نشأة التَّداوليَّة وتطورها:

شهد العقد السابع من القرن العشرين تحولًا جذريًا في المفاهيم اللغوية وطرق معالجة الخطابات، فنشأت التَّداوليَّة التي كانت محمَّلة بمبادئ جديدة كردِّ فعل على البنيوية التي لم تكن ملمة بكافة جوانب الظاهرة اللغوية، وعلى قصور التَّوليديَّة التَّحويلية لتشومسكي التي أهملت الآداء واهتمت بالكفاءة اللغوية، واعتبرت التَّداوليَّة هذه الاهتمامات ناقصةً مجحِفةً لا تُلمُّ بعناصر الخطاب كلِّها ولا توفيه حقه في التَّحليل، فجاءت لتعطي له نظرةً شاملةً ولتمعن في التَّمحيص.

ولكنَّها لم تنبثق من فراغ بل كانت لها أصولها وامتداداتها وإرهاصاتها التي مهدت لها لتكتمل كعلمٍ ناضجٍ مكتمل الملامح. وإذا شئنا العودة إلى جذور هذا المنهج فإنَّه ظهر على يد الفيلسوف الأمريكي "شارل سندرس بيرس" Ch. S.Pirce وذلك في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين من خلال مقاله الموسوم بـ "كيف نجعل أفكارنا واضحةً؟". وإنَّ بيرس قد صرَّح في أكثر من موضع أنَّه يقتبس فلسفته من الألماني "إيمانويل كانط" I. Kant «ما من شك في أنّ بيرس كان كانطيا في بداياته حيث درس كانط بعمق، وقبل منطلقاته ومنهجه وتتبع أثره في استنباطاته الأكثر الأهمية وينقل عنه كلامه أنَّه بدأ دراسة كانط منذ حداثة سنِّه»[1]. ويكاد يكون هناك إجماع على أن دراسة بيرس لكانط قد ارتبطت ارتباطا وثيقا بالجانب العملي.

غير أنَّ الاستعمال الأوَّل لهذا المصطلح كان سنة 1938م حين جاء "شارل موريس" Ch. Mouris ليقوم بتبويب مختلف العلوم التي موضوعها اللغة كالتالي:

1. علم التراكيب "syntacits" " syntax": يدرس العلاقات الشَّكليَّة بين العلامات بعضها مع بعض.
2. علم الدلالة "semantics": وهو يدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها، أو تحيل إليها.
3. التَّداوليَّة: وتهتم بدراسة علاقة العلامات بمفسريها.»[2]

ومن الأوائل الذي اهتموا بهذا الفرع اللساني نجده المفكِّر والفيلسوف "وليام جيمس" W.James الذي تعهدَّه بالعناية وقد فضَّل مصطلح "البراجماتية" حيث يرى أنها في الوقت الحاضر أصبحت تستعمل في معنى أوسع وأشمل وهي الآن أيضا نظرية معينة للحقيقة.[3] ولكن من جهة أخرى يعتبر الدَّارسون أن التَّداوليَّة نشأت على يد ثلاثة من فلاسفة اللُّغة المنتمين إلى التُّراث الفلسفي

[1] ـ رزيق بوزغاية، التَّداوليَّات، نوران للنشر والتوزيع، تبسة، الجزائر، ط1، 2020م، ص37.

[2] – المرجع نفسه، ص09.

[3] ـ وليام جيمس، البراجماتية، تر: محمد علي العريان، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، (دط)، 2008م، ص76.

بجامعة أكسفورد وهم: "جون أوستين" J. Austin " "جون سيرل" J.searl "بول غرايس" P. Grice والذين كان جلُّ اهتمامهم العثور على طريقةٍ ناجعةٍ لتوصيل اللُّغة الإنسانيَّة الطَّبيعيَّة من خلال تبليغ رسالة متكلمٍ مرسلٍ إلى متلقي يستقبلها وقد «ناقش هؤلاء الفلاسفة دور اللغة العادية في حياة أفراد المجتمع.»[1] وذكر النقاد ثلاثة مشارب انبعثت منها الدِّراسات التَّداوليَّة وهي:

ـ السيميائيَّات المنطقيَّة

ـ السيميائيات "شارل موريس" Ch. Mouris

ـ الفلسفة الذرائعيّة الأمريكيَّة "شارل بيرس" Ch. Pirce.

أما مرحلة الخمسنيات فكانت مرحلة حاسمة و«يمكن لنا إرجاع نشأة التَّداوليَّة إلى سنة 1955م عندما ألقى "جون أوستين" John Austin محاضراته في جامعة هارفارد ضمن برنامج محاضرات وليام جيمس.»[2]؛ وهي محاضرات ألقيت في إطار الفلسفة التَّحليليَّة ولم يكن الهدف منها إنشاء فرع جديد للِّسانيَّات، بل كان أوستين من خلالها يروم تأسيس اختصاص فلسفي جديد وهو فلسفة اللُّغة وأصبحت فيما بعد مهدا لاتجاه لغوي جديد وهو التَّداوليَّة.

ولم تتوقف جهود أوستين عند هذا الحدّ بل تواصلت، ليكون سبَّاقا في بلورة وتقنين أفعال الكلام التي كانت في صلب اهتمامات فلاسفة اللُّغة وذلك حين صدر كتابه الموسوم بـ "نظرية أفعال الكلام العامَّة (كيف ننجز الأشياء بالكلام؟)" سنة 1962م.

ويتضح من خلال هذه الإسهامات المقدمة أن التَّداوليَّة بعد أن كانت لعقود تنعت بسلة المهملات أضحت اليوم حقلا معرفيا مستقلا له ضوابطه وقوانينه إلا أن ذلك لم يجعل منها مجالا محدودا بل على العكس فهي تتداخل وتقتحم علومًا أخرى.

[1] - حسن خميس الملخ، التَّداوليَّة (ظلال المفهوم وآفاقه)، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2015م، ص08.

[2] – جاك موشلر وآن روبول، التداولية اليوم، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ط1، 2003م، ص28.

المطلب الثالث: قضايا التَّداوليَّة:

لقد أعرض الباحثون عن إعطاء تعيين محددٍ لمباحث التَّداوليَّة، ولكنَّ هذا لم يكن حائلًا بينهم وبين تحقيق ذلك، فقد استطاعوا تناول بعض من موضوعاتها من خلال ما قدمه مفهومها الذي قدم اللُّغة على أنَّها ظاهرة خطابية واجتماعية وتبليغية، ومن هذه الموضوعات التي تناوبوا على دراستها: الإشاريات، الاستلزام الحواري، السياق، متضمنات القول، نظرية الملاءمة، أفعال الكلام. وسنحاول تحديد مدلولاتها بالقدر الذي أُتيح من الدراسات.

الإشاريات أو الكنائيات deictics:

بدأت العناية بظاهرة الإشاريات حديثا مع انبثاق الفلسفة المعاصرة للغة؛ لما لها من أهمية بالغة في تحقيق العملية التواصلية، والإشاريات «عبارة عن علامات محيلة غير منفصلة عن فعل التلفظ، وهو فعل يقتضي متلفظا يتوجه بخطابه إلى مخاطب، ضمن إطار زماني ومكاني محدد. لذلك لا يمكن إسناد دلالة ما إلى ملفوظ معين دون الوقوف عند الإشاريات من جهة، وعند سياق إنتاج الملفوظ من جهة أخرى.»[1] وتنقسم الإشاريات إلى:

- **إشاريات شخصية**: **Personal Deictics** وهي من العناصر المشكلة للمحور التداولي وهي عبارة عن الضمائر «التي تجسد الشخصيات المتحدثة/ المتخاطبة (الحاضرة منها والغائبة) وتحديدها يستدعي تحديد الدور الذي يؤديه المتخاطبون والمقام التواصلي الذي يتواجدون فيه.»[2] إذن فهي متمثلة في الضمائر المنفصلة والمتصلة أما ضمير الغائب يدخل في الإشاريات إذا كان حرًّا أي لا يعرف مرجعه من السياق اللغوي، أما إذا كان العكس فلن يُعتبر من الإشاريات.
- **إشاريات زمانية**: **Temporal Deictics** «كلمات تدل على زمان يحدِّده السياق بالقياس إلى زمان التَّكلُّم»[3] فهي عناصر سياقية، تُحدَّد مرجعياتها من سياق التَّلفُّظ، وكذلك من الثقافة المشتركة بين أطراف الخطاب؛ فالمرسل عندما يحمِّل رسالته إشاريات زمانيَّة يعلم تماما أنَّ متلقيه قادر على تفكيك هذه العناصر وتأويلها.
- **إشاريات مكانيَّة**: **Spatial Deictics** هي عناصر «تحيل إلى المواضع التي تفاعل معها الخطاب، ويمثل المكان بعدًا أساسيًا يحسُّ به الإنسان، ويؤثر في وجوده وكينونته، وإحساسه بالمكان أسبق من

---

[1] - جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، 2016م، ص76.

[2] ـ عبد القادر جعيدير، الإشاريات في شرح المفصل لابن يعيش (مقاربة تداولية نصية)، مذكرة ماجيستير، تخصص: علوم اللسان وتحليل الخطاب، جامعة غرداية، كلية الآداب واللّغات، قسم اللغة والأدب العربي، 2015/2014، ص36.

[3] ـ محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللُّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعيَّة، (دط)، 2002م، ص19.

إحساسه بالزَّمان.»[1] وكثيرا ما يوظف المتكلم إشارات مكانية تدلُّ على تموقعه نحو: هنا، هناك، فوق، تحت، شرق، غرب، ... وكذلك أسماء الأماكن وغيرها.

الاستلزام الحواري: conversational implicature

بدأ هذا المفهوم منطلقا من الفكرة التي طرحها بول غرايس P. Grice في محاضراته بجامعة هارفارد سنة 1967م مفادها أن النَّاس عندما يتحدثون قد يقولون ما يقصدونه، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولونه، فدعى فيها إلى فصل النزاع بين ما يقال وبين ما يقصد أي أنَّ المقصود لا يكون دائما واضحا وصريحا ففي كثير من الأحيان يكون مخفيا وضمنيا «ومن ثم إن فهم الملفوظ لا يمكن أن يكتمل دون محاولة المخاطَب بناء استدلال منطقي مقبول.»[2] وربط غرايس هذا المفهوم بمبدإ عام أسماه "مبدأ التَّعاون" وتنضوي تحته أربع مسلمات / قواعد / مبادئ وهي:

- **مبدأ الكم: Maxim of Quantity** «تكلم على قدر الحاجة فقط ولا تتجاوز بإفادتك القدر المطلوب. ويعني هذا الابتعاد عن الاستقصاء المفصَّل، وتفادي الإطناب والاستطراد في الكلام أو التّخاطب.»[3]، فتستخدم من الكلام ما قلَّ ودلَّ.
- **مبدأ الكيف: Maxim of Quality** تُسمى أيضا بمبدإ الصدق وهي أن تقول ما أنت متأكد من صحته وما ليس كاذبا وزائفا، ولا تقل ما ينقصك فيه الدليل لإثبات صحته.
- **مبدأ الطريقة: Maxim of Manner** توخى وضوح العبارة وتجنب كل ما يؤدي إلى التباسها وغموضها واسلك الطرق التي تضمن ترتيبا منطقيا لأفكارك.
- **مبدأ المناسبة: Maxim of Relation** اجعل كلامك مناسبا للموضوع والمقام وثيق الصلة بسياق الخطاب.[4] أي مراعاة حال المتلقين النفسية، والاجتماعية، والثقافية....

السياق The Contexte:

والسياق ينطلق من اللغة «من حيث مبانيها الصرفية وعلاقاتها النَّحوية ومفرداتها المعجمية وتشمل الدلالات بأنواعها من عرفية إلى عقلية إلى طبيعية، كما تشتمل على المقام بما فيه من عناصر

---

[1] ـ محمود عكاشة، النَّظريَّة البراجماتيَّة اللِّسانيَّة (التَّداوليَّة) "دراسة المفاهيم والنَّشأة والمبادئ"،مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2012م، ص85.

[2] ـ جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص100.

[3] ـ جميل حمداوي، التَّداوليَّات بين النَّظريّة والتَّطبيق، دار الريف للطبع والنشر الالكتروني، تطوان، المملكة المغربية، ط1، 2019م، ص26.

[4] ـ فرانسواز أرمينكو، المقاربة التَّداوليَّة، ص54.

حسية ونفسية واجتماعية كالعادات والتقاليد ومأثورات التراث، وكذلك العناصر الجغرافية والتاريخية مما يجعل السياق كبرى القرائن بحق؛ لأنّ الفرق بين الاستدلال بها على المعنى وبين الاستدلال بالقرائن اللفظية النّحوية كالبنية والإعراب والربط والرتبة والتّضام ... إلخ هو فرق ما بين الاعتداد بحرفية النّص والاعتداد بروح النّص.»[1]، فالسياق نوعان: سياق لغوي (مقالي): فهو مجموع الوحدات الداخلية التي تتحكم في دلالة النّص، وسياق غير لغوي (مقامي) فهو الظروف الخارجية الطبيعية والاجتماعية والثقافية والتاريخية التي يتحدد بها الخطاب أو الملفوظ.

ويمثل السياق لا سيما عند العرب أحد المكونات الهامة التي تحتاج لها المقاربة التداولية فهو يساعد على استخراج المعاني المبطنة من النتاج النّصي، فهو يجعلها تبدو دقيقة وواضحة للمتلقي، لكونه يسهم في معالجة الجمل «وكذلك تحليل أفعال الكلام، وقوانين الخطاب، ومسائل الملفوظية، والقضايا الحجاجية وغيرها»[2]، وبهذا يكون السياق مكونا بارزا في بناء النص وفهمه وعنصرا مهما في مقاربته تداوليا.

متضمنات القول: The implications of saying

أحيانا يكون التلميح أبلغ وأدلَّ من التصريح كما قد تجبر الظروف المتكلم على أن يكون في خطابه جوانب خفية ومعاني ضمنية، فمتضمنات القول مفهوم إجرائي يعالج هذه الجوانب من الخطاب للكشف عن المعاني ومعرفة أسباب المتكلم في ذلك والظروف التي وُضع فيها و«فهم الجانب الضمني من الكلام يستلزم منا أن نكون على معرفة ضمنية بالقواعد التي من شأنها أن ينتظم بها الكلام.»[3] فبعض الخطابات تحمل معنى ظاهرا ومعنى باطنا مثل قول أحدهم: "أشعر بتحسن اليوم"؛ معنى ذلك أن القائل، لم يكن بخير بالأمس أو أنَّه كان يشكو مرضا، كما يعني ذلك أنَّه قادر على إنجاز أعماله اليوم، مصطلح متضمنات القول يرتبط بمفهومين: الافتراض المسبق، الأقوال المضمرة.

- **الافتراض المسبق: Presupposition** «وتعتبر الافتراضات والمضمنات بمثابة المعلومات المدسوسة خفية.»[4] يتم تحليلها من خلال ما تتيحه العلامات اللغوية.

---

[1] ـ تمام حسان، البيان في روائع القرآن (دراسة لغوية وأسلوبية للنّص القرآني)، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط2، 2002م، ص173.

[2] ـ خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية (مع محاولة تأصيلة في الدرس العربي القديم) ،بيت الحكمة للنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، ط1، 2009م، ص114.

[3] ـ عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النّظرية التّداوليّة، الأمل للطباعة والنّشر والتّوزيع، تيزي وزو، الجزائر ط2، 2013م، ص59.

[4] ـ كاترين كيريرات أركيوني، المضمر، تر: ريتا خاطر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2008م، ص 44ـ 45.

- **الأقوال المضمرة:** تشكل الشق الثاني من متضمنات القول وتقول أركيوني بأنه «هو كل المعلومات التي يمكن للكلام أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث.»[1] وإذا أردنا الفرق بين القول المضمر والافتراض المسبق فالأول هو وليد سياق الكلام أما الثاني فهو مستخلص من ظروف وملابسات الخطاب.

نظرية الملاءمة: Relevance Theory

وهي من القضايا التَّداوليَّة التي أسَّسها اللَّسانيان البريطاني "دير ويلسون" D.Wilson والفرنسي "دان سيربر" D.Serper وانبنت على عدة مجالات منها العلوم المعرفيَّة والإدراكيَّة وكذلك على علم التراكيب ولهذا فهي اكتسحت موقعًا مهمًا نظرا لقربها من هذه المجالات، وانطلق الباحثان من مبدإ التَّعاون لـ "بول غرايس" P.Grice مركزين على قاعدة الملاءمة / المناسبة ومراعيين في ذلك أنّ الذهن البشري يسعى دائما إلى تحقيق الملاءمة بين مقاصد المتكلم والنَّتائج السياقيَّة التي يستخرجها المتلقي بعد ما يبذله من جهود تأويلية. واجتهدا في دمج مفهومين وهما:

- **القالبيَّة:** وقد أُستنبِطت من العلوم النفسيَّة المعرفية.
- **النَّظريَّة الحواريَّة:** وقد أُستمدت من فلسفة اللُّغة.

وسعى كل من ويلسون وسبربر إلى التوفيق والدمج بين هاتين النزعتين المتنافرتين.

وأهم ما ميَّز نظرية الملاءمة هو ذلك التصور الذي منحته للسِّياق «إذ لم يَعُد شيئًا معطى بشكل نهائي أو محدَّدًا قبل عمليَّة الفهم، وإنَّما يُبنى تبعًا لتوالي الأقوال.»[2]

وقد منحت هذه النظرية للسِّياق تصورًا خاصًا فهو يتألف حسبها من افترضات سياقية تُبنى على ثلاثة مصادر:

- **تأويل الأقوال السّابقة:** لابد من ردِّ آخر الكلام على أوَّله في المعالجة فهو يُعتبر جزءًا من سياق تأويل الأقوال المستهدفة.
- **المحيط الفيزيائي:** يمثله السِّياق وهو كل تمثيل قضوي ينبثق من المكان الذي جرى فيه التَّواصل.
- **ذاكرة النّظام المركزي:** تخزن الذاكرة المركزيّة لكل مفهوم ثلاثة أصناف من المعلومات يتمثل في (المدخل المنطقي، المدخل المعجمي، المدخل الموسوعي) ويتم استخدام هذه المعلومات في تأويل السِّياق.[1] فهي المصادر المكونة للسياقات الخارجية.

---

[1] ـ عمر بلخير، المرجع السابق، ص 68.

[2] ـ مسعود صحراوي، التَّداوليَّة عند علماء العرب،"دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص37.

الحجاج The argumentation

إن اللُّغة الإنسانيَّة ذات طبيعة حجاجيّة متأصلة، فأي متكلم يوظف الحجج في نصوصه ويروم الإقناع في خطاباته باستمرار، ويعتبر الحجاج من أبرز النظريات التداولية اليوم، وهو في نظر الكثيرين «فعل تداولي وظيفي وتخاطبي وذرائعي»[2] ويعتبر الحجاج «الآلية الأبرز التي التي يستعمل المرسل اللغة فيها وتتجسد عبرها استراتيجية الإقناع»[3] أي أنَّ المتكلم يوظف ما أمكنه من المركبات اللغوية في سبيل تحقيق غايته من الخطاب وهي الإقناع. ومن أبرز أعلام هذا الاتجاه نجد "شايم بيرلمان" وزميلته "تيتيكا" فموضوع الحجاج عندهما هو «درس لتقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يُعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التَّسليم.»[4] والحجاج عبارة عن آليات وطرائق تعمل على استمالة المتلقي ومحاولة جعله يتبنى وجهة نظر معيَّنة فالخطاب الحجاجي هو من يحمل هذة الآليات والطرائق الذي يمر في تشكله وتبلوره «بالأدوار التالية:

أ. مرحلة مصادر الأدلة.

ب. مرحلة ترتيب أجزاء القول.

ج. مرحلة الصياغة الأسلوبية.

د. مرحلة الإلقاء.»[5] وتنبني نظرية الحجاج على مجموعة من المفاهيم أهمها: السلالم الحجاجية التي قامت على ثلاثة قوانين: قانون الخفض، قانون القلب، قانون تبديل السلم.

وإنَّ عمليَّة المحاججة تتركب من أسباب وصولا إلى نتيجة أو مجموعة من النَّتائج ولصناعة هذه الأسباب من الضروري توظيف وسائل وهي:

- **الوسائل اللسانيَّة:** وهي أدوات الاتساق والانسجام تساهم في ترابط النَص وتماسكه.
- **الوسائل الأصولية والفلسفية:** وتتمثل في القياس والتمثيل. أمَّا القياس فهو أكثر وسيلة يُتكئ عليها خلال المحاججة، وهناك نوعان القياس العرفاني والقياس البرهاني. أمَّا التمثيل ففيه تعقد المشابهة

---

[1] ـ مسعود صحرواي، المرجع نفسه، ص 38 ـ 39.

[2] ـ جميل حمداوي، التَّداوليَّات بين النَّظريّة والتَّطبيق ، 2019م، ص15.

[3] ـ عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص456.

[4] ـ عبد الله صولة، في نظرية الحجاج (دراسات وتطبيقات)، مسكيلياني للنشر، تونس، ط1، 2011م، ص13.

[5] ـ نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النَّص وتحليل الخطاب ـ دراسة معجميَّة ـ، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2009م، ص106.

بين صورتين حتى يتمكن المتكلم من إثبات حجته.

- **الوسائل البلاغية:** وتكون مجسدة في الصور البيانية المزروعة بين ثنايا الخطاب كـ الاستعارة، التشبيه، المجاز ...

أفعال الكلام: Speech act

وهي من أبرز القضايا التداولية على الإطلاق لاقت جدلا كبيرا وسال من أجلها حبرا كثيرا كما تعددت الآراء حولها، فسنعرض ما تداوله الباحثون حولها في المبحث التالي.

المبحث الثاني: أفعال الكلام:

المطلب الأول: نشأة أفعال الكلام وتطورها :

قبل الحديث عن مفهوم هذه القضية الأسبق ظهورا والأكثر بروزا في ميدان اللِّسانيَّات التَّداوليَّة، لابد علينا أولا من المرور بمراحل تطورها والتَّعرف على محطات نشأتها، فكما عرَّجنا سابقا بذكرنا أنَّه لفلسفة اللُّغة الدَّور البارز في نشأة نظرية الأفعال الكلامية، وذلك من خلال اهتمامهم باللُّغة التي مرَّت آنذاك بمرحلتين: المرحلة الأولى كانت عبارة عن دراسة للمركبات الخبريَّة التي اعتبروها وسيلة معبرة عن كيفية تمثيل الذهن للعالم أو للواقع «وقد اتسمت هذه الدراسة باتخاذها الصيغة الصورية للقضايا، كما استقرت عليه في المنطق الرمزي الحديث، نموذجًا للغة اصطناعية صارمة وواضحة، تُفسَّر على ضوئها التركيبات اللغوية المتداولة في اللغات الطبيعية بالرغم مما تتصف به هذه اللغات من أصناف الغموض.»[1] ومن أهم أعلام هذا التّيار"غوتلوب فريجه" G.Frege "رسل" Russel و"فتجنشتاين" Wittgenstein في مرحلته الأولى في كتابه" رسالة منطقية فلسفية".

أما في المرحلة الثانية اهتموا فيها باللغة الطبيعية التي شدَّهم إليها بعدها الغامض الذي أكسبها مسحة جوهرية تميزها عن اللُّغة الاصطناعيَّة التي لطالما اتسمت بالصَّرامة و«خالف هذا التيار منهج التيار السابق في دراسته للغة الطبيعية فلم يتجه إليها من خلال اللغات الاصطناعية بل اتجه إليها مباشرة، كذلك خالفه في موضوع الدراسة فلم يكتفي بدراسة الجمل الخبريَّة، بل توسع لدراسة سائر أنواع الجمل.»[2] ومن ممثلي هذه المرحلة "فتجنشتاين" Wittgenstein في مرحلته الأخيرة في كتابه "بحوث فلسفية" "رايل "Ryle و "أوستن" Austin في محاضراته الاثنتي عشر التي ألقاها في جامعة هارفارد سنة 1955م ونُشرت بعد ذلك في كتابه "How to do things with words" سنة 1962م الذي يعد اللبنة الأولى لميلاد نظرية أفعال الكلام، وقد أثمرت جهود أوستين نضجا غير مسبوق للنظرية، وقد ميز بين ثلاثة ضروب للأفعال الكلامية وتعتبر عناصر للفعل الكلامي والتي سنتطرق إليها بمزيد من الشرح في ما سيأتي وهي كالآتي:

أ. فعل الكلام: الذي يتحقق ما إن يتلفظ بقول ما.

ب.قوة فعل الكلام: هو الذي نؤديه بقولنا شيئا.

---

[1]- طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، ط1، 1994م، (من مقدمة الكتاب (أ)).

[2]- المرجع نفسه، (من مقدمة الكتاب (أ- ب))

ج. لازم أفعال الكلام: هو العمل الذي يتحقق نتيجة قولنا شيئا ما.[1]

ومن بعد أوستين جاء خليفته (جون سيرل) J.Searl الذي تلقف هذه النظرية وتعهدها بالدراسة إلى حد بلوغها مرحلة التطور من خلال إضفاء لمسات جديدة تمثلت في تقسيمات وآراء قدمها سيرل ليوضح مسار هذه النظرية، و«أضفى سيرل انتظاما أكبر على الأفكار التي تحرّاها أوستين بعمق، واختلاف الهدف من الفعل الكلامي هو ما جعل سيرل يعيد تصنيف أفعال الكلام، فقد يكون الهدف منه هو القيام بفعل معين من جهة، وجعل الأفعال مطابقة للعالم، أو جعل العالم مطابقا للأفعال من جهة أخرى.»[2] حيث يتحدث عن أهمية الملاءمة والمطابقة بين الكلمات والعالم ما يجعلها مرتبطة بالقصدية ويعتبرها «الطريقة الخاصة التي يمتلكها العقل لربطنا بالعالم وعلى غرار ذلك تبرز حقيقة أنّ هناك طرقا مختلفة من الحالات القصدية، وتربط الأنماط المختلفة من الحالات القصدية المحتوى الخبري بالعالم الواقعي، إذا صحَّ القول، مع إلزامات مختلفة بالملاءمة، فيقال عن الاعتقادات والافتراضات إنها صحيحة أو زائفة استنادا إلى ما إذا كان العالم حقا هو الطريقة التي يمثلها الاعتقاد كوجود.»[3] ولكن حتى وإن كانت هذه القضية قد أخذت مسارها الصحيح مع أوستين إلَّا أنه لابد من التنبيه إلى صنيع "فيتجنشتاين" الذي تنبه إلى أن اللغة على الرغم من توظيفها في أغلب الأحيان لوصف العالم بيد أن هناك كمًّا من الاستعمالات الأخرى للغة لا تصف وقائع العالم كـ: الأمر، الاستفهام الشكر، التحية، الدعاء، اللَّعن... وقدَّم ثبتا طويلا لهذه الاستعمالات المختلفة للغة وأطلق عليها ألعاب اللغة وسمُي كل استعمال منها لعبة؛ لأنَّ له قواعد يتفق عليها مستعملو اللغة كما يتفق اللاعبون على قواعد اللعبة، وبذلك كان له القسط الأكبر في ظهور هذه القضية مما جعل أوستين متأثرا به. وعلى الرغم من أن الفضل في تأسيس نظرية الأفعال الكلامية يعود لأوستين إلا أن جهوده لم تكن كافية لوضع نظرية متكاملة. ومع مجيء جون سيرل اكتمل سد الثغرات التي غفل عنها جون أوستين.

[1] ـ جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة "كيف ننجز الأشياء بالكلام"، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، (دط)، (دت)، ص123.

[2] ـ خديجة بوخشة، أفعال الكلام في شعر رمضان حمود، مجلة حوليات التراث، مجلة مستغانم، العدد20، 2020م، ص125.

[3] ـ جون سيرل، اللغة والمجتمع والعقل (الفلسفة في العالم الواقعي) تر: سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم، ـ منشورات الاختلاف ـ المركز الثقافي العربي، ط1، 2006م، ص151.

المطلب الثاني: مفهوم الفعل الكلامي:

يُعد الفعل الكلامي Speech Acte أحد أبرز المفاهيم الأساسية التي قامت عليها نظرية الأفعال الكلامية والذي استطاع أوستين أن يقدم مفاهيم دقيقة حول طبيعته وخصائصه وأبعاده الإنجازية وأصنافه ثم طوره علماء آخرون مثل: "جون سيرل" J.Searl، ريكاناتي، "أركيوني" K.K. Orckèoni، غوفمان، هابرماس.

وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن هذا المصطلح (الفعل الكلامي) لا يقف عند حدود المظهر الصوتي المادي بل يشمل المنجز الكتابي والمنجز الصوتي على حد سواء.

أما مفهوم الفعل الكلامي فقد حدد بتعريفات مختلفة وذلك عائد إلى اختلاف المرجعيات التي انطلق منها الدَّارسون:

فقد عرَّفه "جون أوستين" J.Austin بقوله: «الفعل المؤسس من قبل متكلم يتمتع بصلاحيات معينة»[1] ، أما "دومينيك منغنو" D.Mainguneau يعرفه على أنه: «الوحدة الصغرى التي بفضلها تحقق اللغة فعلا بعينه (أمر، طلب، تصريح، وعد،...) غايته تغيير حال المتخاطبين، إن التلفظ المشارك لا يمكنه تأويل هذا الفعل إلا إذا أعترف بالطابع القصدي لفعل التلفظ.»[2] في حين نجد "فان دايك" V.Dick يربط الفعل الكلامي بالحدث الذي يقترن أساسا بالتغيير فيقول: «وما نعنيه بقولنا إننا نفعل شيئا ما متى صغنا عبارة معينة هو أننا نقوم بإنجاز فعل اجتماعي؛ كأن نعد وعدا ما، ونطلب وننصح، وغير ذلك مما شاع وذاع أنه يطلق عليه" أفعال الكلام"، ويطلق عليه على نحو أخص "قوة فعل الكلام". ومن الواضح علاوة على ذلك أنه يوجد بون شاسع بين حال إصدار بعض الأصوات من ناحية أولى، وبين القيام بإنجاز فعل مجتمعي معقد من ناحية ثانية.»[3]

ولا يبتعد "مسعود صحراوي" كثيرا عن هذه التعريفات فيقول: «كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري»[4] فالفعل الكلامي إذن نواة مركزية قامت عليها الأبحاث التداولية

---

[1] – مسعود صحراوي، الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي، رسالة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، كلية الآداب واللغة العربية، 2004م، ص83.

[2] – دومينيك منغنو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 2008م، ص7.

[3] – تون فان دايك، النَّص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، (دط)، 2000م، ص263.

[4] ـ مسعود صحراوي، التَّداوليَّة عند علماء العرب،"دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص40.

اللاحقة وما اشتركت التعريفات فيه هو أنه ليتحقق الفعل الكلامي لابد أن يتوفر على قصد كما يستلزم وجود حدث ينجز من أجله، والفعل الكلامي هو أداة تعبيرية تسعى للتغيير والتأثير في العالم.

المطلب الثالث: عناصر الفعل الكلامي:

انشغل أوستين بتقسيم الفعل الكلامي إلى عناصر فخصَّص لذلك دراسة مفصلة في كتابه "كيف ننجز الأشياء بالكلام؟" لكونها أول ما يصادف الباحث في دارسة نظرية أفعال الكلام ونجده يقول: «قسمنا مفهوم علم الكلام وقلنا إن منه الصوتي الفونطيقي، ومنه الكلام النطقي، ومنه الخطابي. وتبينا أن كل هذه الأصناف حاملة للدلالة، ثم من فعل الكلام ما تكون له قوة وقيمة في حال قول القائل لشيء ما وأخيرا من فعل الكلام ما تكون تأديته بعض الآثار من دلالة الالتزام نتيجة قول القائل لشيء ما.»[1] وهي عناصر لا تكون لصيقة بالفعل الكلامي ولا لازمة له وإنَّما تكون متباينة في تأثيرها على ممارسة اللغة. فالعنصر الأول يكون مؤكد الحضور ويليه العنصر الثاني من حيث الأولوية، أمَّا الثالث فيرتبط تحققه بشروط محددة »[2] وفرق جون أوستين بين ثلاثة عناصر للملفوظ: فعل الكلام، قوة فعل الكلام، لازم فعل الكلام إلا أن مسعود صحراوي يقترح تسميات أخرى لعناصر الفعل الكلامي الذي «يعد نشاط ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية Actes Locutoires لتحقيق أغراض إنجازية Actes illocutoires (كالطلب والأمر والوعد والوعيد... الخ)، وغايات تأثيرية Actes perlocutoires تخص ردود أفعال المتلقي (كالرفض والقبول).»[3] ومن خلال هذه التسميات نستشف أنَّه تحرى خصائص كل عنصر من هذه العناصر.

- **العنصر الأول (فعل الكلام)**: «هو التلفظ بعبارة ما يكون لها معنى ومرجع»[4] وهو ضرورة ملائمة الأصوات في القول ومطابقة تركيب الكلمات لقواعد اللغة بما يحقق دلالة معينة.
- **العنصر الثاني (قوة فعل الكلام)**: وهو «يقوم على إتمام عمل آخر، عبر القول، غير مجرد التَّلفظ بمحتوى، وتحديدا على القول صراحة (ولكن ليس دائما) كيف يجب أن تؤول العبارة في سياق التَّلفظ بها»[1] فتتم صياغة التراكيب لأداء وظيفة محددة يتم إنجازها عبر قوة الفعل التواصلية.

---

[1] ـ جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة "كيف ننجز الاشياء بالكلام "، تر: عيد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، المغرب، ط1، (دت)، ص 141.

[2] ـ رزيق بوزغاية، التَّداوليَّات، نوران للنشر والتوزيع، تبسة، الجزائر، ط1، 2020م، ص184.

[3] ـ مسعود صحراوي، التَّداوليَّة عند علماء العرب،"دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص40.

[4] ـ جون أوستين، المرجع السابق، ص 131.

- **العنصر الثالث (لازم فعل الكلام)**: «ويتمثل في إحداث تأثيرات ونتائج في المخاطبين مثل حثِّهم عل القيام بفعل أو حملهم على الخوف أو الضحك أو الحزن)»[2]، أي ما يخلِّفه الفعل الإنجازي من أثر في المتلقي، فهو يحمله إلى اتخاذ موقف أو تغيير رأي، أو القيام بعمل ما.

وبحسب ما ذكر "مسعود صحراوي" فإن أوستين أقر بأن الفعل الكلامي الكامل يكون كالآتي:[3]

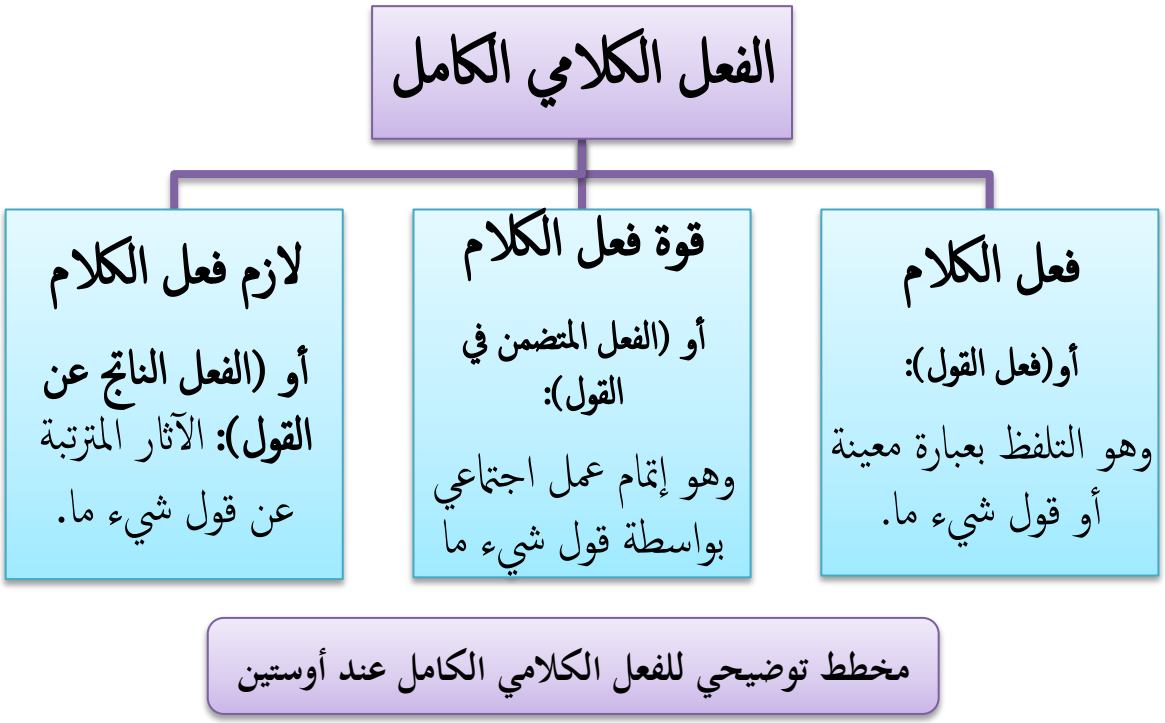

مخطط توضيحي للفعل الكلامي الكامل عند أوستين

[1] ـ فيليب بلانشيه، التَّداوليَّة من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنَّشر والتَّوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 2007م، ص 59.

[2] ـ فيليب بلانشيه، المرجع نفسه، ص59.

[3] ـ مسعود صحراوي، التَّداوليَّة عند علماء العرب،"دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، ص43.

المطلب الرابع: أنواع الفعل الكلامي:

قدَّم (جون أوستين) تصنيفا للأفعال الكلاميَّة يُعتبر مبدئيا إذا قورنت جهوده بما تلاها من الجهود، فقد قسّم أفعال اللّغة معتمدا في هذا التصنيف على معيار القوة الإنجازية وهو تقسيم غير مستفيض باعتراف أوستين ذاته، إلى أن جاء سيرل فأعاد تقسيمها بطريقة احترافية أكثر بالاعتماد على ما رآه ناجعا من تقسيم أوستين الذي كان مرجعه.

أ. تصنيف الفعل الكلامي عند أوستين:

قسَّم (جون أوستين) J.Austin الفعل الكلامي بحسب قوتها الإنجازيَّة إلى خمسة أقسام:

- **الحكميات (أفعال الأحكام) Verdictives:**

وتسمى أيضا الإقرارية أو التقريريات وهي بحسب ما يحيل عليها مصطلحها تشكل إصدار حكم ليس من الضروري أن يكون نهائيا أو نافذا، وفي جميع الحالات فالحكم الصادر يكون موجها نحو شيء ما سواء كان واقعيا أو قيمة معينة؛ أي أنَّها تتمثل عموما في «إطلاق أحكام على واقع، أو قيمة مما يصعب القطع به. ومن أمثلتها: برّأ، قيَّم، حكم، حسب، وصف، حلل، صنف، أرَّخ، فسَّر.»[1] وعادة ما يكون هذا النوع من الأفعال صادرًا من متكلم له سلطة على المتلقي.

- **الإنفاذيات (التمرسية) Exercitives:**

وتشمل الأفعال التي «تفصح عن قدرة المتكلم على اتخاذ القرارات وإصدار الأوامر، والتأثير على الآخرين مثل: وافق، حذر، نصح، زوَّج، سمَّى، سمح...»[2] ويحمل هذا النوع قرارا لصالح شخص ما أو ضده، باستعمال الحق أو السلطة عليه، وإعطاء التوجيهات كـ: النّصح، التحذير... إلخ.

- **الوعديات (أفعال التعهُّد) Commissives:**

وهي إلتزام المتكلم بإنجاز عمل ما «الوعد والموافقة والتعاقد والعزم والنِّية والقسم والإذن والتَّفضيل...»[3] ويقترن هذا النوع بالصدق فمن واجب المتكلم الالتزام بما قاله.

- **السّلوكيات Behabitives:** :

---

[1] ـ طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصريين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، ط1، 1994م، ص 10.

[2] ـ جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، 2016م، ص90.

[3] ـ فيليب بلانشيه، المرجع السابق، ص62.

وهي أفعال تشكل نوع من التفاعل مع الآخر وهي عبارة عن «حالات نفسية، ويمكن لها أن تتخذ شكل جمل تعبر عن سرور أو ألم أو فرح أو حزن أو عما هو محبوب أو ممقوت.»[1]، ومن أمثلتها: شكر، هنّأ، اعتذر، وبَّخ، اعترض، بارك، رحَّب، صفَّق، حرَّض...

- **العرضيات (أفعال العرض) Expositives:**

وتسمى أيضا التبيينات عادة ما تُستعمل في إبداء الآراء وإيضاح وجهات النَّظر باستعمال الحجج، وهي تعابير «تختص بالعرض مثل:"التأكيد والنَّفي والوصف والإصلاح والذّكر والمحاجَّة والقول والتَّأويل والشّهادة والنَّقل والتوضيح والتفسير والتدليل والإحالة..."»[2] وهي أفعال تستعمل بكثرة في المحادثات لأنَّها أفعال موضحة لقصد المتكلم ومبينة لأغراضه التواصلية.

ب.تصنيف جون سيرل لأفعال الكلام:

لقد خطا (جون سيرل) J.Searl خطوات متزنة خلال سعيه لتطوير نظرية الأفعال الكلامية ويتضح ذلك في ما أجراه من تعديلات تدارك بها هفوات "جون أوستين" ولامس مواطن الضعف، واستبدل وتخلى عن كلّ ما رآه غير مفيد وزائد. فالفعل الكلامي «في منظور سيرل أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم ومقصده، بل يرتبط أيضا بالعرف اللُّغوي والاجتماعي.»[3]. وبنى (جون سيرل) J.Searl تصنيفه «على أسس منهجية تتمثل في:

ـ الغرض الإنجازي للفعل الكلامي.

ـ اتجاه المطابقة بين الكلمات والعالم.

ـ شرط الإخلاص في صدق المتكلم ورغبته في تأدية الفعل الكلامي.»[4]، ففرق إنطلاقا منها بين خمس مجموعات كبرى للأفعال الكلامية وهي كالآتي:

- **الإخباريات Assertives:**

والغرض الإنجازي منها جعل المتكلم مسؤولا عن وضع الأشياء وأفعال هذا الصنف تحتمل الصدق والكذب وفيها «الكلمات تتطابق مع العالم وحيث الحالة النفسية هي اليقين بالمحتوى، مهما كانت درجة القوة. ومثال ذلك: "سيأتي غدا"»[5]، ونجدها بوضوح في: التقرير، الزعم، التنبؤ، الإيضاح ...

---

[1] ـ جورج يول، التداولية، تر: قصي العتَّابي، دار العلوم العربية ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص90.

[2] ـ فيليب بلانشيه، المرجع السابق، ص62.

[3] ـ مرتضى جبار كاظم، اللسانيات التداوليّة في الخطاب القانوني، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط1، 2015م، ص45.

[4] ـ حمدي منصور جودي، بين تداولية الأفعال الكلامية والحجاج (مقاربة مفاهيمية)، حوليات المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد الأول، ديسمبر 2013، ص103.

[5] ـ فيليب بلانشيه، المرجع السابق، ص66.

- **التعبيريات Expressives:**

وهي تعابير تنقل حالات نفسية كـ «الرضا والغضب والسرور والحزن والنجاح والفشل... إلخ، وليس من اللازم أن تقتصر هذه الأفعال على ماهو خاص بالمتكلم من الأحداث، بل تتعداها إلى ما يحدث للمشاركين في الفعل، وتنعكس أثاره النَّفسية والشعورية على المتكلم. ويدخل فيها أفعال الشكر، والاعتذار، والتهنئة والمواساة، وإظهار النَّدم، والحسرة، والتمني، والشوق والحب والكره... إلخ»[1] وتسمى أيضا البوحيات وفيها يُراعى شرط الصدق.

- **التوجيهيات Directives:**

وهي محاولة المتكلم لـ «جعل المستمع يتصرف بطريقة تجعل من تصرفه متلائما مع المحتوى الخبري للتوجيه. وتتوفر النماذج على التوجيهيات في الأوامر والنَّواهي والطلبات.»[2] ويمكن للمستمع الخضوع لها وطاعتها أو استنكارها وإهمالها.

- **الوعديات Commissives:**

كما يطلق عليها الإلزاميات لضرورة التزام قائلها بما سيتلفظ به؛ أي أنَّ غرضها الإنجازي التزام المتكلم بفعل شيء ما مستقبلا «وتتوفر نماذج على الإلزاميات في المواعيد والنَّذور والرهون والعقود والضمانات.»[3] ويفرض هذا الصنف وجود شرط الإخلاص، واتجاه المطابقة فيها يكون من العالم إلى الكلمات.

- **التصريحيات Declaratives:**

الغرض الإنجازي يكمن في طريقة الأداء الفعَّال لها من خلال مطابقة محتواها للعالم الخارجي، واتجاه المطابقة يكون من الكلمات إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمات، وهي أساليب تعبيرية تغيَّر شيئا من العالم فور التلفظ بها وأفضل الأمثلة على ذلك: "أعلن أنَّكما زوج وزوجة"، "لذلك أعلن اندلاع الحرب"، "أنت مطرود"، "أنا مستقيل".[4] ويمكن إجمال تقسيم سيرل في المخطط الآتي:

---

[1] ـ محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللُّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعيَّة، (دط)، 2002م، ص104.

[2] ـ جون سيرل، اللغة والمجتمع والعقل (الفلسفة في العالم الواقعي)، تر: سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم، ـ منشورات الاختلاف ـ المركز الثقافي العربي، ط1، 2006م، ص218.

[3] ـ جون سيرل، المرجع نفسه، ص218.

[4] ـ جون سيرل، المرجع نفسه، ص219.

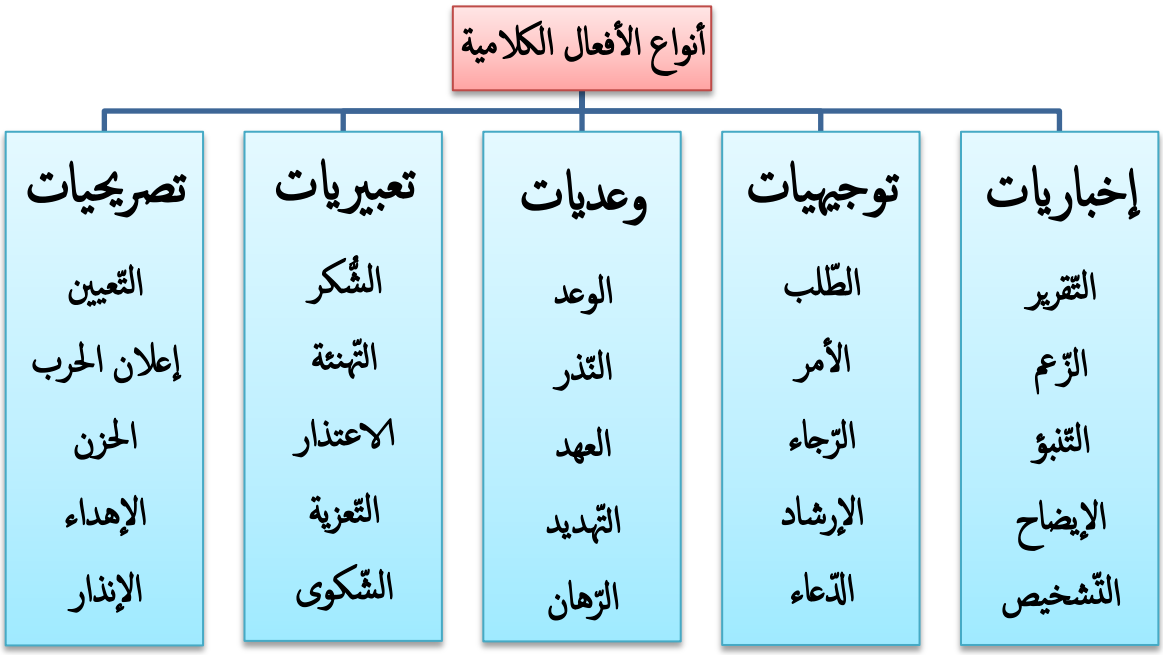

مخطط توضيحي لتصنيف جون سيرل J.Searl لأفعال الكلام

لقد وُفِّق أوستين في دراسته لأفعال الكلام على صعيدين:

الأوّل: ساهم في تجسيد تيار مضاد للتيار السائد بين فلاسفة اللغة فردَّ بذلك الاعتبار للغة الطبيعية.

الثاني: عندما نجح في وضع أسس معالم نظرية دلالية لسانية في تداوليات أفعال اللغة، تقوم أساسا على اعتبار أن العبارات والجمل اللغوية لا تنقل مضامين مجردة، وإنَّما تؤدي وظائف عملية إنجازية.[1]

وعلى الرغم مما لاقته النظرية من رواج آنذاك بما حملته من جرأة صاحبها بمناهضته للقوانين السائدة التي فرضتها فلاسفة اللغة، والتي تفرض قيودا على اللغة، إلا أنَّه لم يسلم من نقد اللسانيين والفلاسفة الذين رصدوا عيوب نظريته متناسين مجهوداته المنهجية والمفهومية، «ومن أبرز هؤلاء النُّقاد، "بنفينيست"، و"جون سيرل"، و"بول غرايس"، و"ريكاناتي"، "آلان بيراندونيز"، ثم بالخصوص النَّقد الفلسفي الذي وجَّهه إلى هذه النَّظرية "جاك ديريدا".»[2]، وانتقلت الدراسات بعد ذلك إلى سيرل الذي اكتملت ملامح النَّظرية على يده وأوصلها إلى مرحلة النُّضج مكملا مسيرة أستاذه مجريا بعض التغييرات فكانت آراء الباحثين في هذا المجال أنَّ الانتقال من "أوستين" إلى "سيرل" هو «تاريخ تقدُّم، تحلُّ فيه نظرية أحسن محل نظرية (أسوأ)، ولقد كان "أوستن" نفسه الذي مهد لهذا الانتقال في

[1] ـ الحسين أخدوش، نظرية أفعال اللغة عند الفيلسوف أوستين (أسسها وحدودها الفلسفية)، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، مؤمنون بلا حدود، 21 أكتوبر 2016، ص 38 ـ39.

[2] ـ الحسين أخدوش، المرجع نفسه، ص39.

عمله»[1] فلقد تنبّه بنفسه إلى الخلل المعياري الذي ارتكبه. فسيرل لديه الكثير من الاختلافات في منهجيته فقد سار بها في منحى مخالف لمنحى أوستين بعد أن أخذ منه أساسيات النظرية. «إذ أن سيرل يختلف عن أوستين في أنّ الأول كان يؤكد على مقاصد المتكلم بينما يؤكد الثاني على تفسير المستمع أو المخاطب. (أوستن) يشترط لإنجاز الفعل الكلامي استيعاب أو إدراك المستمع للمغزى المقصود من قبل المتكلم. وهذا الافتراض يولد مشاكل. فهو مبني على الاعتقاد بأن لكل مقولة مغزى واحدا فقط. وهذا لا يمكن الدفاع عنه، لأن المقولات عادة تحتوي الكثير من اللبس الذي قد يكون مقصودا في بعض الأحيان.»[2]؛ أي بينما يعتبر أوستين مغزى الكلام هو نتيجة النجاح في تحقيق مقاصد المتكلم يراه سيرل عبارة عن نتاج لتفسيرات المستمع للكلام، وعلى الرغم من هذه الاختلافات بين المنهجين إلا أنَّ عمل سيرل يبقى مكملا لمجهودات أوستين، فلقد عمل بحرص على سد الفجوات التي تركها وميز بين كثير من القضايا المتشابكة وحلّ المسائل العالقة.

وما نخلص إليه من نظرية أفعال الكلام:

ــ هي نظرية تعتبر أن اللغة هي وسيلة للتعبير عن أفعال، وتعبر عن مواقف لذلك سميت العبارات التي نتلفظ بها بأفعال الكلام.

ــ يعتبر الفعل الإنجازي أهم عنصر من عناصر هذه النظرية إذ هو الذي ينجز من خلاله الفعل الحقيقي من وراء الكلام الحرفي، فيتوصل المتلقي به لمقصد المرسل اعتمادا على مقام معين.

[1] ـ نادية رمضان النَّجار، الاتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللّغوي، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، مصر، ط1، 2012م، ص186 ـ 187.

[2] ـ هشام إ. عبد الله الخليفة، نظرية الفعل الكلامي Speech Act Theory (بين علم اللّغة الحديث والمباحث اللُّغويَّة في التُّراث العربي والإسلامي)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2007م، ص107.

الفصل الثّاني:

أفعال الكلام في خطب الحجّاج بن يوسف الثقفي

تمهيد.

- **المبحث الأوَّل: أفعال الكلام في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي.**

المطلب الأول: الوعديات.

المطلب الثاني: الإخباريات.

المطلب الثالث: التوجيهيات.

المطلب الرابع: التعبيريات.

المطلب الخامس: التصريحيات.

- **المبحث الثاني: بلاغة الخطاب والفعل الكلامي في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي.**

المطلب الأول: الحقيقة والمجاز في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي.

المطلب الثاني: تأثير الأساليب المجازية على مقصدية الخطاب. في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي.

المطلب الثالث: النَّص باعتباره فعلا كلاميا في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي.

تمهيد:

عرفت الخلافة الأموية تقلبات سياسية عديدة تطلبت وجود حكام حازمين وخطباء محنكين، وقد مثل هذا العصر مجد الخطابة فبلغت فيه ذروتها، بظهور أشهر خطباء العرب في هذه الفتره أمثال: زياد بن أبيه، وعبد الملك بن مروان، والحسن البصري، والحجاج بن يوسف الثقفي.... ومن بين هؤلاء قد وقع اختيارنا على الحجاج بن يوسف الثقفي لتكون خطبه عينة للدراسة في هذا الفصل التطبيقي المعنون (أفعال الكلام في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي) لما احتوته هذه الخطب من الأفعال الكلامية التي نروم استخراجها منها ولكن قبل ذلك لابد من التعرف على الحجاج وعلى شخصيته التي ساهمت بشكل كبير في تشكيل بنية هذه الخطب.

1. نبذة تاريخية عن حياة الحجاج بن يوسف الثقفي:

أ. نسبه:

كان الحجاج من بين الأسماء الخالدة في تاريخ العرب فـ«هو الحجاج بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتَّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف، وهو قسي بن منبه بن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن حَصَفة بن قيس بن عيلان بن مضر، أبو محمد الثقفي»[1] وما عرف عنه أنه كان يتفاخر بنسبه ويعتز به.

ب. حياته:

عاش الحجاج وترعرع بالطائف وسط عائلة كريمة المنبت طيبة السمعة من عائلات ثقيف، حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، ونشأ على حب العلم والتعليم، كان يدرِّس أبناء الطائف رفقة والده، ثم انتقل إلى دمشق وهنالك ذاع صيته في زمن خلافة "عبد الملك بن مروان" وذلك عندما اشتكى عبد الملك إلى وزيره "روح بن زنباع" «أن الجيش لا ينزلون لنزله ولا يرحلون لرحيله، فقال روح: عندي رجل توليه ذلك فولى عبد الملك الحجاج أمر الجيش، فكان لا يتأخر أحد في النزول والرحيل»[2]؛ لما كان للحجاج من هيبة، فقد كان الجميع يخشاه لأنَّه كان غليظ اللسان وحاد السيف.

ج. آراء حول الحجاج:

صنع الحجاج لنفسه شخصية مثيرة للجدل، وقد قدمت حوله الكثير من الشهادات التي تتراوح بين الإعجاب بشخصيته وبين السخط على السياسة التي انتهجها مع أهل العراق والتي اعتبرها كثيرون سياسة مجحفة وجائرة ومن بين هذه الشهادات نجد:

قد أشاد الأصمعي بفصاحة الحجاج فقال: «أربعة لم يلحنوا في جد ولا في هزل: الشعبي، وعبد الملك بن مروان، والحجاج بن يوسف الثقفي، وابن القرية، والحجاج أفصحهم»[3] أمّا عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقد أُعجب برجاحة عقله وذكائه فقال: «ما رأيت عقول الناس قريبا بعضهم من بعض إلا ما كان من الحجاج وإياس بن معاوية فإن عقلهما كان يرجحان على عقول الناس»[4] وقد حاول ابن كثير أن يقف موقف المنصف للحجاج فقال: «إن أعظم ما نُقم على الحجاج وصحَّ من

---

[1] ـ عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تح: ثروت عكاشة، دار المعارف، مصر، (دت)، ص396.

[2] ـ علي محمد الصلابي، الدولة الأموية (عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار)، دار المعرفة ط2، بيروت، لبنان، 2008م، ج1، ص677.

[3] ـ عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، الأمالي، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، ط2، بيروت، لبنان،1987م، ص20.

[4] ـ المرجع نفسه، ص109.

أفعاله سفك الدماء وكفى به عقوبة عند الله، وقد كان حريصا على الجهاد وفتح البلاد وكان فيه سماحة إعطاء المال لأهل القرآن، فكان يعطي على القرآن كثيرا، ولما مات لم يترك في ما قيل إلا 300 درهم.»[1] فقد روي عن الحجاج أنَّه كان جبارا عنيدا يهبُّ لسفك الدماء لأدنى شبهة، ولكنَّه أيضا كان عادلا ورؤوفا على المساكين.

2. التعريف بالمدونة: جمهرة خطب العرب (في عصور العربية الزاهرة)

هو كتاب جمع فيه أحمد زكي صفوت ما أُثر عن العرب من خطب ووصايا، وما دار في مجالس الملوك والخلفاء والرؤساء من حوارات وجدال ومناظرات وسجالات، فهو يحوي أربعة ابواب في ثلاثة أجزاء:

الجزء الأوَّل: ويحتوي على بابين في خطب العصر الجاهلي ضمن الباب الأول وخطب صدر الإسلام في الباب الثاني.

الجزء الثَّاني: واحتوى الباب الثالث وفيه خطب العصر الأموي.

الجزء الثَّالث: يتضمن الباب الرابع وضمَّ خطب العصر العباسي، وذيل الجمهرة، وخطبا متفرقة.

وقد أسفر الكاتب عن غايته من تأليف هذا الكتاب قائلا: «وقد نظرت فوجدت تلك الخطب مبعثرة منثورة في كتب الأدب والتاريخ لا يؤلف بينها نظام، ولا يضمُّ أشتاتها كتاب، فإذا شئت أنْ تتعرف صورة الخطابة في عصر من العصور، أو تترجم لخطيب من خطباء العربية، ألفيت الطريق أمامك وعرة شائكة، وأنفقت وقتا في التنقيب عن خطبه في بطون الأسفار ... كل أولئك حدا بي أن أعبِّد السبيل لشداة الأدب العربي إلى ذلك التراث النفيس الذي يتوقون إلى الارتواء من مناهله العذبة»[2] قبل هذا المؤلف كانت الخطب مشتتة بين الكتب وكان الباحث يجد مشقة في بحثه وهو ينقب عليه.

[1] ـ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، البداية والنهاية، دار أبي حيان، ط1، القاهرة، مصر، 1996م، ج9، ص153.

[2] ـ أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب (في عصور العربية الزاهرة)، المكتبة العلمية، ط1، بيروت، لبنان، (دت)، ج1، ص3ـ4

❖ المبحث الأول: الأفعال الكلامية في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي:

عنوان الخطبة	نوع الفعل الكلامي	الغرض الإنجازي	الفعل الكلامي الغالب
خطبته بمكة بعد مقتل ابن الزبير	إخباريات	الحكم والتقرير	إخباريات
خطبته بعد قتل ابن الزبير	إخباريات وعديات	الإيضاح التحذير والتهديد	إخباريات = وعديات
خطبته حين ولي العراق	وعديات	التهديد والوعيد التحذير التعهد الحكم التشخيص	وعديات
خطبته وقد سمع تكبيرا في السوق	وعديات	التعهد	وعديات
خطبته وقد قدم البصرة	وعديات	الإنذار التعهد	وعديات
خطبته بعد وقعة دير الجماجم	إخباريات تعبيريات	الإيضاح الحكم التعبير عن الحب التعبير عن الكره	إخباريات = تعبيريات
خطبته في أهل الكوفة وأهل الشام	وعديات إخباريات تعبيريات	التهديد الإيضاح التعبير عن الكره التعبير عن الحب	تعبيريات
خطبة له بالبصرة	إخباريات وعديات توجيهيات	الإيضاح التعهد (2) الدعاء	وعديات

خطبته أخرى له بالبصرة	توجيهيات	النصح والإرشاد الدعاء الأمر	توجيهيات
خطبته في أهل العراق يصارحهم بالكراهية	تعبيريات توجيهيات	التعبير عن الكره الدعاء	التعبيريات = التوجيهيات
خطبة أخرى	تعبيريات	التعبير عن الكره	التعبيريات
خطبته لما مات عبد الملك بن مروان	تعبيريات وعديات توجيهيات	التعزية التحذير الأمر(2)	توجيهيات
خطبته حين أراد الحج	إخباريات تصريحيات	الإعلان الحكم النصح والإرشاد	إخباريات
خطبته لما أُصيب بولده محمد وأخيه في يوم واحد	تصريحيات توجيهيات	الحزن الرجاء النصح والإرشاد	توجيهيات
خطبته وقد أرجف أهل العراق بموته	إخباريات توجيهيات	الإيضاح (2) الدعاء	إخباريات
خطبه الوعظيَّة	توجيهيات	النُّصح والإرشاد (5) الأمر الدُّعاء	توجيهيات

نتيجة:

يتضح من الجدول أعلاه أنَّ أفعال الكلام في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي قد وردت بنسب متفاوتة وقد كانت كالآتي:

الوعديات: وكانت بنسبة **26%** وأغلب ورودها كان لغرض "التعهد" وذلك راجع لشخصية الحجاج وطريقة تعامله مع أهل العراق

الإخباريات: وردت أيضا بنسبة **26%** وكانت لها عدة أغراض إنجازية مثل التقرير، والإيضاح والتشخيص ...

التوجيهيات: وكانت أيضا متناسبة مع كل من الوعديات والإخباريات وكان لها حضورها في الخطب بأغراض إنجازية مختلفة مثل: النصح والإرشاد، والدعاء وغيرهما.

التعبيريات: وكان وجودها معتبرا بنسبة **21%** وتجسدت في قوى إنجازية مثل التعبير عن الكره، التعبير عن الحب ...

التصريحيات: بالرغم من عدم وجودها كفعل غالب إلا أن هذا لا يمنع وجودها في الخطب وفي مواضع مختلفة، وكانت أقل الأفعال الكلامية ورودا بنسبة **1%**.

المطلب الأول: الوعديات:

هي نوع من الأفعال الكلامية يجعل المتكلم مقيَّدا بعمل ما في المستقبل واتجاه المطابقة فيها يكون من العالم إلى القول وتتمثل في القسم، الوعد، الرهان ... وقد حاز هذا الصنف على نسبة **26%** من الأفعال الكلامية في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي. وكان بعدة أغراض وهي: التعهد، التهديد والوعيد، التحذير، الإنذار، كما يوضحها الجدول الآتي:

الـــوعديـــــات			
الغرض الإنجازي	**مرات الورود**	**مواضع الورود**	**نسبة الورود**
التَّعهد	**5 مرات**	**ص 292، ص291 (2)، ص 296 (2)،**	**42 %**
التهديد والوعيد	**3 مرات**	**ص289، ص290 ص292.**	**25%**
التحذير	**3 مرات**	**(ص287 ـ 288)، ص290، ص298.**	**25 %**
الإنذار	**مرة واحدة**	**ص292**	**8 %**

1.التعهد:

وهو الغرض الإنجازي الأكثر ورودا. والذي تصدَّر الأفعال الوعدية بنسبة **42%** كما يوضحه الجدول؛ لأنَّ الحجاج بن يوسف الثقفي حكم في زمن شاعت فيه النزاعات واشتدت فيه الخلافات بين أهل العراق حتى أصبحت تلك المرحلة الأكثر توترا فقد كانت سياسة الحجاج فيهم تهدف إلى «القضاء على الفتن والثورات التي جوبه بها أما عن الظروف الطبيعية لقد كان الاعتماد على العقل لا على العاطفة، وتقليد الوظائف للأكفاء، وهو الطابع المميز لسياسته في العراق بصورة عامة ونستطيع أن نتبين تلك السياسة من الخطب التي كان يلقيها والتصريحات التي كان يدلي بها»[1]، ويتضح غرض التعهد جليا في الكثير من الخطب الموجهة لأهل العراق الذين كانوا متمردين خارجين عن الطاعة ويعتبرون جلَّ السياسات التي تمارس عليهم ظالمة ومجحفة ومن أبرز ما قاله الحجاج فيهم «إنّي أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا سفكت دمه وأنهبت ماله وهدمت منزله»[2]

[1] ـ عبد الواحد ذنون، العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، الدار العربية للموسوعات، ط2، بيروت، لبنان، 2005م، ص200.

[2] ـ أحمد زكي صفوت، أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب (في عصور العربية الزاهرة)، المكتبة العلمية، ط1، بيروت، لبنان، (دت)، ج2، ص291.

وقوله: «عذيرى من عبد هذيل يقرأ القرآن كأنه رجز الأعراب أما والله لو أدركته لضربت عنقه»[1] فهنا جاء التعهد محملا بشروط كانت عبارة عن حدود وضعها المخاطب للمستمعين لكي لا يتجاوزوها، ففي النموذج الأول حدد لهم موعدا سيلتزمون به وإلا فسينفذ ما تعهد به.

أما النموذج الثاني فقد حدثهم عن عبد الله بن مسعود الذي بلغه أنّه يقرأ القرآن وكأنَّه رجز الأعراب فتعهّد أمامهم أنَّه لو أدركه يقرأه بذلك الشكل فسينال عقابه تأديبا له.

ونماذج ذلك كثيرة في خطابات الحجاج وحواراته، فالتعهد غرض بيَّن لنا مدى قوة الحجاج وقدرته على الالتزام بأقواله، فهو يستعمله لتعميق نفوذه وتأصيل تلك الصورة الصارمة التي يعرف أنها موجودة في الوسط بين مخاطبيه.

2. التهديد والوعيد:

مثل نسبة **25%**، وهو شكل آخر من أفعال الوعديات فلطالما اكتست خطب خطيبنا طابع الصرامة والحزم، ولأنّه كان صاحب لسان «من أعنف الألسنة بيانا، وأشدها إغرابا، وأوجزها تركيبا للعبارة، وأبرعها اختيارا للفظة المعبرة عن أعنف معنى أتم ما يكون التغيير وأعرف ما يكون الآداء.»[2] استعمل هذا الأسلوب ردًا على تمرد العراقيين والإبانة عن سخطه عليهم من ذلك نجد قوله: «أمَّا والله إني لأحمل الشر بحمله وأجزيه بمثله وإني لأرى أبصارا طامحة وأعناقا متطاولة ورؤوسا قد أينعت وحان قطافها وإنِّي لصاحبها، وكأني أنظر إلى الدِّماء بين اللحى والعمائم تترقرق»[3] وقوله أيضا: «أمَّا والله لألحونَّكم لحو العصا ولأقرعنَّكم قرع المروة، ولأعصبنَّكم عصب السلمة، ولأضربنَّكم ضرب غرائب الإبل.»[4] فهذه مقتطفات من خطبة الحجاج حين ولي العراق، وقد كانت خطبة سياسية خالصة وضَّح لهم فيها مسلكه السياسي الذي سيتبعه خلال حكمه فهو يهيئ السامعين لاستقبال هذا الواقع كي لا يتفاجئوا فيما بعد، ومن أبرز ما عُرف عن الحجاج أنَّه بليغ وقد استثمر ذلك لإبراز مهاراته في الخطبة، فهي بالنِّسبة له صنعة يتقنها ولا يشق له غبار فيها، فيطوِّع لها كل ما يملكه لإنجاحها والوصول بها إلى الهدف المنشود، فحتى نبرة صوته يجعلها تتناسب مع طبيعة الغرض فقيل أنَّه «إذا صعد المنبر تلفَّع بطرفه ثمَّ تكلَّم رويدًا فلا يكاد يُسمع، ثم يتزيَّد في الكلام فيخرج يده من مطرفه، ثم يزجر الزَّجرة فيفزع بها من في أقصى المسجد.»[5] يستعمل الخطيب كل أساليب التأثير من

---

[1] ـ المصدر نفسه، ص296.

[2] ـ حنَّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل، ط2، بيروت، لبنان، 1968م، ص366.

[3] ـ أحمد زكي صفوت، ص289.

[4] ـ المصدر نفسه، ص290.

[5] ـ محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط3، القاهرة، مصر، 1997م، ص242.

ذلك أسلوب التهويل الذي ارتكز أساسا على التصوير نوضح هذا بقوله «وكأنِّي أنظر إلى الدِّماء بين اللِّحى والعمائم تترقرق.» فهو يتخيل صورة معينة ويحاول تجسيدها في مخيلات المتلقين، وهذه الصورة كانت عبارة عن المشهد الذي سيكونون عليه والمصير الذي سيلقونه إنْ لم يلتزموا بتعليماته وأوامره. التهديد والوعيد يشكلان جانبا كبيرا من شخصية الحجاج وهو الجانب الذي يسيِّر به شؤون حكمه.

3. التحذير:

ومثل نسبة **25%** من الأفعال الوعدية وهي نسبة معتبرة والتحذير هو تنبيه المخاطب لأمر مذموم ليتجنبه. وجاء هذا الأسلوب على صيغتين في خطب الحجاج فقد جاء بداعي التحذير من الوقوع في الخطأ بغرض النصح، وبين التحذير من الوقوع في الخطأ في قالب تهديدي. ويتبين ذلك في قوله: «إياكم أن تزلوا عن سنن أقمناكم عليه فأقطع عنكم ما وصلته بكم بالصَّارم البتَّار.»[1] وكذلك قوله: «فإياكم والزيغ فإنَّ الزيغ لا يحيق إلا بأهله»[2] ، وقوله أيضا: « فإياي وإياكم من تكلم قتلناه ومن سكت مات بدائه غما.»[3] فالنموذج الأول: يحمل تحذيرا صريحا لأهل العراق بأن لا يحيدوا عن النظام الذي سطَّره لهم وإلا سوف يكون عقابهم عسيرا وقاسيا. أما النموذج الثاني فجاء مبطنا ففي ظاهره نصح وإرشاد ولكن عندما يواصل كلامه فإننا نجده يقول: «من تكلَّم قتلناه ومن سكت مات بدائه غما» وهو تهديد صريح. وإنَّ التحذير كان بالنسبة للحجَّاج سلاحاً حارب به تمرد أهل العراق وعصيانهم ونهاهم عن ما يفعلونه ودعاهم إلى الالتزام بالأوامر والتعليمات وقد استعمله لأنَّه ذو سلطة عليهم.

4. الإنذار:

وهو أقل الأفعال الوعدية ورودا بنسبة **8%** وبمقدار مرة واحدة وهي تلك التي فيها قال الحجاج: «إني أنذر ثم لا أنظر وأحذر ثم لا أعذر وأتوعد ثم لا أعفو»[4] في هذا المثال يكشف المتكلم عن جوانب من شخصيته لا سيما تلك التي سيقوم بتوظيفها في حكمه وسبب ندرة هذا الغرض لأن الحجاج في الغالب لا يكرر كلامه إنما يقوله مرة واحدة. فهو ينذر رعيته لمرة واحدة فقط ذلك راجع لسياسته التي قامت على التجبر والتسلط والعنف حيث لا سبيل إلى اللِّين فيها.

---

[1] ـ أحمد زكي صفوت، ص289.

[2] ـ المصدر نفسه، ص287- 288

[3] ـ المصدر نفسه، ص298.

[4] ـ المصدر نفسه، ص292.

المطلب الثاني: الإخباريات:

هي أفعال كلامية لها أغراض إنجازية مختلفة وكلها تصبُّ في «وصف المتكلم واقعة معينة من خلال قضية proposition وأفعال هذا الصِّنف كلها تحتمل الصدق والكذب واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم (works to world) وشرط الإخلاص يتمثل في النَّقل الأمين للواقعة والتَّعبير الصَّادق عنها.»[1] ويأتي هذا الفعل الكلامي في عدَّة صور تشكل قوى إنجازية له، مثل الإيضاح، والحكم، التقرير، التشخيص ... وكان وقع الأفعال الإخبارية واضحا في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي وردت بنسبة معتبرة **26%** من الأفعال الكلامية في الخطب وردت بأغراضها المختلفة كما سيوضحها الجدول:

الإخبـــاريـــــات			
الغرض الإنجازي	**مرات الورود**	**مواضع الورود**	**نسبة الورود**
الإيضاح	**5 مرات**	**ص287، ص293، ص 295، (ص295 ـ 296)، ص300.**	**50 %**
الحكم والتقرير	**3 مرات**	**ص287، ص294 ص298.**	**30 %**
التشخيص	**مرتان**	**ص290، ص293.**	**20 %**

1.الإيضاح:

يتضِّح من الجدول أعلاه أنَّه كان الغرض الأكثر ورودا بنسبة **50%** وهذا دلالة واضحة على أنَّ الحجاج عاشر أهل العراق حتى عرف طباعهم جيدا وأصبح متمكنا من الحكم عليهم وتشخيص الأمور بسهولة تامة بما امتلكه من فطنة.

وظهرت في الخطب نماذج اكتست هذا الغرض منها قوله: «موج الليل التطم وانجلى بضوء صبحه يا أهل الحجاز كيف رأيتموني؟ ألم أكشف ظلمة الجور وطخية الباطل بنور الحق؟ والله لقد وطئكم الحجاج وطأة مشفق وعطفة رحمة ووصل قرابة.»[2] في هذا النموذج يتوجه الخطيب إلى مخاطبيه "أهل العراق" بخطاب حاول فيه أن يوضح خصاله التي جاءهم بها وما فعلهم لهم قبل تمردهم وقد احتوى خطابه على كثير من الأفعال التي أتت لتؤدي غرض الإخبار مثل: (التطم، انجلى، أكشف،

[1] ـ محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللُّغوي المعاصر، ص49.

[2] ـ أحمد زكي صفوت، ص287.

رأيتموني...) وكلُّها أفعال وضَّحت أنه جاء للحجاز ينوي إزاحة الباطل والكشف عن الحق كما أنه كان يشفق على ضعيفهم ويعطف عليهم ويصلهم كأقربائه، كما أنه وظَّف أسلوب الاستفهام بآداتي (كيف والهمزة) وقد جاء بغرض التقرير وهو «حملك المخاطب على الإقرار، والاعتراف بأمر قد استقر عنده.»[1] وقد جاء هذا الغرض الإنجازي من الأفعال الإخبارية بكثير من النماذج لأنَّ الحجاج كان يعرف جيدا رعيته ويدرك صفاتهم.

2. الحكم والتقرير:

وهو غرض إنجازي ورد بنسبة **30%** ولأنَّ الحجاج كان يمثل السلطة الشرعية بين أهل العراق تضمنت خطبه هذا الغرض ونستشف ذلك من قوله: «ألا إنَّ ابن الزبير كان من أحبار هذه الأمة حتى رغب في الخلافة ونازع فيه وخلع طاعة الله واستكن بحرم الله ولو كان شيء مانعا للعصاة لمنع آدم حرمة الجنة لأنَّ الله تعالى خلقه بيده وأسجد له ملائكته وأباحه جنته فلما عصاه أخرجه منها بخطيئته وآدم على الله أكرم من ابن الزبير والجنة أعظم حرمة من الكعبة.»[2] فهنا يخبر الجمهور بما تقرر في شأن ابن الزبير، حيث أنَّه والخليفة عبد الملك بن مروان قد أصدرا حكما بالقتل في حقه بعد ثبوت أنَّه يستحق ذلك، وقد أعطى الدلائل الكافية ليثبت لمخاطبيه صحَّة وأحقيَّة الحكم الذي تمَّ إصداره، كما يتضِّح هذا الغرض في قوله في خطبته بعد "وقعة دير الجماجم" «إن بعثتكم إلى ثغوركم غللتم وخنتم، وإن أمنتم أرجفتم، وإن خفتم نافقتم، لا تذكرون حسنة ولا تشكرون نعمة.»[3] هنا حكم وقرر على أهل العراق أنَّهم أهل خيانة ونفاق وشقاق كما أنهم ناكرون للجميل، هنا يعدَّد للمتلقين صفاتهم دون أن يخفي أو أن يواري عنهم شيئا، كما يخبرهم بتوقعاته تجاههم وسلوكاتهم نحوه، فهو يطلق حكما مسبقا يبدو متأكدا منه.

وقد جاء هذا الغرض الإنجازي في النموذجين السابقين بطريقتين مختلفتين ففي النموذج الأول حكم وتقرير اتضح منه أن الحجاج يقرر انطلاقا من الصلاحيات التي منحها إياها منصبه. أما في النموذج الثاني فهو إخبار ومصارحة لأهل العراق تصدر من معرفة سابقة للمخاطبين ومعاشرة طويلة لهم.

3.التشخيص:

هذا الغرض توارد على الخطب بنسبة **20%** وهو غرض يجعلنا نتنبه إلى ما كان في الحجاج من

---

[1] ـ بدر الدين محمد الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، مصر، 2006م/ 1427هـ، ص331.

[2] ـ أحمد زكي صفوت، ص287.

[3] ـ المصدر نفسه، ص294.

حصافة ونباهة وقدرة على معرفة دخائل الأمور واستنباط أسرارها واستطاعته على تحليل الشخص المقابل له، كما أنَّه كان رجلا يعرف نفسه جيدا ويدرك صفاته وعلى دراية مطلقة بما يقال ويجري حوله ويتضح هذا الغرض في عدة نماذج من خطبه نأخذ منها قوله لأهل العراق في خطبته بعد وقعة دير الجماجم «يا أهل العراق إن الشيطان قد استبطنكم فخالط اللحم والدم والقصب والمسامع والأطراف والأعضاء والشغاف ثم أفضى إلى المخاخ والأصماخ ثم ارتفع فحشَّش ثم باض ففرَّخ فحشاكم نفاقا وشقاقا وأشعركم خلافا اتخذتموه دليلا تتبعونه وقائدا تطيعونه ومؤامرا تستشيرونه.»[1] فهنا قام بوصف حالتهم بدقة مراعيا في وصفه ذكر التفاصيل التي تقرب الصورة وتجعلها واضحة فأي متلقٍ سيعترضه هذا التعبير سيعلم إلى أي درجة كان فيها أهل العراق من النفاق والشقاق في ذلك الوقت، وذلك من خلال الأوصاف التي قدَّمها الحجاج عنه فقام بوضع حقائقهم بين أيديهم وكذلك قوله: «إنِّي والله يا أهل العراق معدن الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق ما يقعقع لي بالشّنان، ولا يغمز جانبي كتغماز التين ولقد فرزت عن ذكاء وفُتشت عن تجربة وجريت إلى الغاية القصوى»[2] وقوله أيضا: «إني والله لا أعد إلا وفيت ولا أهم ولا أخلق إلا فريت.»[3] فهذه مقتطفات من خطبته حين ولي العراق فهو يقدم نفسه المخاطبيه ويبين لهم جوانب من شخصيته مثل الوفاء بالعهد والعزم والذكاء والحزم والتجربة والحنكة وأغلبها صفات وجوانب استعملها في الحكم نفسه واستعرض أوصافه للمخاطبين كي يكونوا على علم بشخصية حاكمهم.

[1] ـ المصدر نفسه، ص 293.

[2] ـ المصدر نفسه، ص290.

[3] ـ المصدر نفسه، ص290.

المطلب الثالث: التوجيهيات:

وهي مجموعة من الأفعال «غرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء معين واتجاه المطابقة فيها يكون من العالم إلى الكلمات world to word وشرط الإخلاص فيها يتمثل في الرغبة الصادقة، ويدخل في هذا الصنف الأمر، النصح، الاستعطاف، التشجيع...»[1] وكان هذا النوع حاضرا في خطب الحجاج بنسبة **26%** بأغراض إنجازية هي كالآتي: النصح والإرشاد، الدعاء، الأمر، ونمثلها في الجدول الآتي:

التـــوجيـــهـــيـــات			
الغرض الإنجازي	**مرات الورود**	**مواضع الورود**	**نسبة الورود**
النُّصح والإرشاد	**6 مرات**	**ص 292، ص291 (2)، ص 296 (2)،**	**40 %**
الدعاء	**4 مرات**	**ص296، ص297 (2)، ص303.**	**27 %**
الأمر	**4 مرات**	**(ص287 ـ 288)، ص290، ص298.**	**27 %**
الرجاء	**مرة واحدة**	**ص299.**	**6 %**

فمثلما كان الحجاج صارمًا كان لا يبخل على قومه بالنصائح في دينهم ودنياهم، كما توضح مواقفه الجانب الديني القوي الذي كان عنده وتمثل القوى الإنجازية لهذا الصنف الكلامي ذلك.

1. النصح والإرشاد:

لقد كان للحجاج من المكوّن الديني ما يجعله مؤهلا لإسداء النصائح وتوجيه الناس لطريق الحق، و «تمثل هذا البعد الديني في خطب الحجاج الوعظية إلى حد لا تخلو إحداها من أن تحفل بالزهد وتزكية النفس ومراقبتها بشدة.»[2] نستأنس بما روي عنه في خطبه حين قال: «نعم امرؤ حاسب نفسه، امرؤ راقب ربه، امرؤ زوَّر عمله، امرؤ فكر فيما يقرؤه غدا في صحيفته، ويراه في ميزانه، امرؤ كان عند همه آمرا، وعند هواه زاجرا، امرؤ أخذ بعنان قلبه كما يأخذ الرجل بخطام جمله، فإن قاده إلى حق اتبعه، وإن قاده إلى معصية كفَّه ،وإننا والله ما خلقنا للبقاء، إنما ننتقل من دار إلى

[1] ـ محمود أحمد نحلة، مرجع سابق، ص49 - 50.

[2] ـ محمد أرشد الحسن، خطب الحجاج بن يوسف الثقفي الوعظية دراسة في ضوء نظرية الاتصال الأدبي، مجلة التجديد، المجلد: 20، العدد: 40، 2016م/ 1438هـ، ص144.

دار.»[1] وقوله أيضا: «أيها الناس اقذعوا هذه الأنفس، فإنها أسأل شيئا إذا أُعطيت وأعصى شيء إذا سُئلت، فرحم الله أمرأ جعل لنفسه خطاما وزماما، فقادها بخطامها إلى طاعة الله، وعطفها بزمامها عن معصية الله، فإني رأيت الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله.»[2]

من خلال هذه الأمثلة يدعو الخطيب السامعين إلى تزكية النفس ومراقبتها وضبطها بالنَّأي بها عن الشهوات، والتوجه بها نحو العبادات، فهي أمارة بالسوء ومن استطاع أن يتحكم بها فقد أفلح كقوله تعالى:﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ الشمس (9 ـ 10)، وقد نال الحجاج من الخطب والدروس التي كان يقدمها إعجاب أكبر شيوخ ذلك العصر، والحسن البصري كان قد عبر عن اندهاشه من الدرجة التي وصل إليها عمق تفكير الحجاج الديني والروحي قائلا: «لقد وقذتني كلمة سمعتها من الحجاج؛ يقول على هذه الأعواد: إن أمرأً ذهبت ساعة من عمره في غير ما خُلق له، لجدير أن تطول حسرته»[3] فهنا بيَّن أنه ليس فقط ذلك الحاكم المتسلِّط والمتجبِّر، فكثيرا ما احتوت خطاباته على رسائل تهدف إلى إصلاح المجتمع ويدعو فيها السامعين إلى زجر النفس عن اتباع الشهوات ونهيها عن الانغماس في أهواء الدنيا، والاتجاه بها نحو الآخرة والإقبال على ما يرضي الله جلّ وعلا.

2. الدعاء:

وهو «الطلب المقترن بالتضرع والخضوع»[4] ويتأثر هذا الغرض الإنجازي بتجارب الشخص وانفعالاته بالمواقف وحاجاته النفسية وهو يأتي على عدة صيغ كما جاء في خطب الحجاج مثل قوله: «اللَّهم أرني الغيّ غيًّا فاجتنبه وأرني الهدى هدًى فاتبعه ولا تكلني إلى نفسي فأضلُّ ضلالا بعيدا»[5] فهنا انكشف زهد الحجاج وإيمانه الشديد وهو يتوجه إلى الله أمام الناس ويدعو لنفسه بالهداية والأوبة إلى الله عز وجلَّ. ولكن عندما قال: «والله أسأل حسن العون عليكم»[6] هنا دعاء على صيغة التهكم فيبدو أن المتكلم يتذمر من الأفعال والتصرفات التي يقوم بها الطرف المقابل ضده ومن الحملات التي تُشنُّ والمؤامرات التي تُحاك لإزاحته عن الحكم. فأراد أن يعبر عن سخطه فلم يجد أنسب من هذه الصيغة.

---

[1] ـ أحمد زكي صفوت، المصدر نفسه، ص302.

[2] ـ المصدر نفسه، ص303.

[3] ـ جمال الدين ابن نباتة المصري، سرح العيون في رسالة ابن زيدون، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، 1964م، ص183.

[4] ـ محمد طاهر الحمصي، مباحث في علم المعاني، منشورات جامعة البعث، ط2، 1996م، ص166.

[5] ـ أحمد زكي صفوت، ص303.

[6] ـ المصدر نفسه، ص297.

3. الأمر:

وهو «طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء.»[1] وللأمر هنا عدة صيغ منها ما اتصل بأغراض إنجازية سابقة مثل النصح والإرشاد مثل قول الحجاج: «اقهروا طول الأمل بقصر الأجل.»[2] فهو يأمرهم باستغلال العمر في ما ينفعهم في آخرتهم. وهو أمر على سبيل النصح والإرشاد. وكذلك قوله: «ألا فاعلموا وأنتم من الله على حذر واعلموا أنكم ملاقوه ليجزي الذين أساءوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، ألا وإن الخير كله بحذافيره في الجنَّة، ألا وإن والشر كله بحذافيره في النار.»[3] هو يوصيهم دوما بسلك طريق الحق والخير الذي أساسه خشية المولى عز وجل. وحمَّل خطابه بأساليب الإقناع من ذلك أسلوبي الإغراء والتحذير، فالإغراء في قوله "إن الخير كله بحذافيره في الجنة" والتحذير في قوله: "إن الشر كله بحذافيره في النار" وهما أسلوبين مستعملان لإقناع المخاطب، إما لترغيبه في القيام بالفعل أو لترهيبه من شيء ينبغي تجنبه والابتعاد عنه. «والإغراء والتحذير من الأفعال الكلامية باعتبارهما يهدفان إلى التأثير في المخاطب وحمله على أداء فعل ما ... وبمصطلحات سيرل الإغراء والتحذير كلاهما منتميين الى صنف الأمريات.»[4] وفي كل منهما دعوة، دعوة إلى الاتجاه نحو الفعل، ودعوة إلى ترك الفعل واجتنابه.

4. الرجاء:

وقد قال عنه الدارسون أنَّه «والرجاء لا يكون إلا مع الشك ومن تيقن النفع لم يكن راجيا له»[5] وهو غرض ورد مرة واحدة في خطب الحجاج وذلك عند وفاة إبنه محمد وأخيه محمد في يوم واحد. حين قال: «أما والله ما كنت أحب أنهما معي في الحياة الدنيا لما أرجو من ثواب الله لهما في الآخرة.»[6]، فالحجاج هنا يرجو من الله الثواب لكل من ولده وأخيه وهو أمر يمكن الاستجابة له من الله وتحققه مع الإصرار والتضرع في الدعاء.

---

[1] أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، لبنان، 1993م، ص75.

[2] ـ أحمد زكي صفوت، ص303.

[3] ـ المصدر نفسه، ص297.

[4] ـ مسعود صحراوي، نظرية الأفعال الكلامية ، ص213.

[5] الحسن أبو هلال العسكري، الفروق اللُّغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، ط1، القاهرة، مصر، (دت)، ص240.

[6] ـ أحمد زكي صفوت، ص299.

المطلب الرابع: التعبيريات:

وهو نوع من الأفعال الكلامية الذي يستعمله المتكلم لينقل حالة نفسية أو يعبر عن شعور معين للمتلقي، وهي شكل من أشكال البوح «يتوافر فيه شرط الاخلاص وليس في هذا الاتجاه مطابقة فالمتكلم لا يحاول أن يجعل الكلمات تطابق العالم الخارجي ولا العالم الخارجي يطابق الكلمات.»[1] ولم يكن هذا الصنف متواجدا بكثرة في خطب الحجاج حيث كان بنسبة **21%** من الأفعال الكلامية ومثلنا الأغراض الإنجازية التي ورد بها في الجدول الآتي :

التّـــعـــبيريـــات			
الغرض الإنجازي	**مرات الورود**	**مواضع الورود**	**نسبة الورود**
التعبير عن الكره	**4 مرات**	**ص 294، ص295، ص 297 (2).**	**50 %**
التعبير عن الحب	**مرتان**	**ص294، ص295**	**24 %**
العتاب واللوم	**مرة واحدة**	**ص296.**	**13 %**
التعزية	**مرة واحدة**	**ص298.**	**13 %**

وهي أغراض أحصيناها من الخطب وسنسوق لكل منها نماذج لتوضيحها:

1. التعبير عن الكره:

وقد حاز على أكبر نسبة من الأفعال التعبيرية وهي **50%**؛ لأنَّ في الوسط الذي وضع فيه الحجاج ومع أهل العراق الذين وجد نفسه مجبرا على التعامل معهم ولأنّ العلاقة بينهم كانت في أعلى درجات التوتر، فمن الطبيعي أن نجد مثل هذا النوع من التعبير ونمثل هذا بقوله «وأنا أرميكم بطرفي وأنتم تتسللون لماذا وتنهزمون سراعا؟ ثم يوم الزاوية ما يوم الزاوية! بها كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم، وبراءة الله منكم، ونكوص وليكم عنكم، إذ وليتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها، النوازع إلى أعطانها، لا يسأل المرء عن أخيه لا يلوى الشيخ، حتى عضكم السلاح، وقصمتكم الرماح، ثم دير الجماجم ما دير الجماجم! بها كانت المعارك والملاحم بضرب يزيل الهام عن مقيله، ويذهل الخليل عن خليله»[2] فهو يعبر عن اشمئزازه من تصرفات أهل العراق وصور لهم حالتهم أيام الحروب والغزوات حيث كانوا يهربون ويختبئون دون مواجهة عدوهم فوصفهم بالجبن والخنوع والخضوع، وهي صفات

[1] ـ نزيهة زكور، قضايا التداولية في التراث العربي أفعال الكلام – أنموذجا –، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، العدد الخامس، ص117.

[2] ـ أحمد زكي صفوت ، ص294.

يكرهها وجعلته يبغضهم .وكذلك قوله:«أما والله إن أبغضتموني لا تضروني وإن أحببتموني لا تضروني وما أنا بالمستوحش لعداوتكم، ولا المستريح إلى مودتكم.»[1] وأيضا قوله: «وإنّي لا أريد ان أرى الفرح عندكم ولا الراحة بكم وما أراكم إلا كارهين لمقالتي وأنا والله لرؤيتكم أكره.»[2] وكذلك قوله: «وأيم الله لأحب إلي أن أحشر مع أبي بكر وعمر مغلولا من أن أحشر معكم مطلقا.»[3] كلها أمثلة من خطب الحجاج عبر فيها عن شدة كرهه والتي وصلت إلى درجة المقت لأهل العراق من خلال عدة تعابير أبرزها: «لا أريد أن أرى الفرح عندكم» و «وأنا والله لرؤيتكم أكره»، وكثير من المصطلحات التي توحي إلى (الكره، البغض، العداوة ...)

2. التعبير عن الحب:

فقد عُرف عن الحجاج حبَّه لأهل الشام، وبين الحين والآخر يقوم بالتعبير عن ذلك في خطبه وحين تسمح له الفرصة ويتيح له المقام فهو يصرح بهذا الشعور وقد ورد هذا الغرض بنسبة معتبرة **24%** حسب النتائج التي أعطاها الجدول ومن ذلك قوله: «لأزواجكم أطيب من المسك ولأبناؤكم آنس بالقلب من الولد.»[4] فالمتكلم يعبر عن مدى حبه واحترامه لأولئك الناس ولأولادهم ولأزواجهم.

اتضح ذلك من خلال قوله: «يأهل الشام إنما أنا لكم كالظليم الرامح عن فراخه ينفى عنها المدر، ويباعد عنها الحجر، ويكنَّها من المطر، ويحميها من الضباب، ويحرسها من الذئاب، يأهل الشام أنتم الجنة والرداء وأنتم العدة والحذاء.»[5] هنا يؤكد لأهل الشام دعمه الدائم وحمايته المطلقة لهم شبه نفسه بالطير الذي يذود عن فراخه ويحرسهم من المخاطر.

3. العتاب واللوم:

وورد في الخطب بنسبة **13%**، وهو الإشارة إلى الخطأ لإثارة انتباه المخاطب ودفعه لتصحيحه، ولقد ورد هذا الغرض مرة واحدة في خطب الحجاج عند قوله لهم:«مالي أرى علماءكم يذهبون، وجهالكم لا يتعلمون، وشراركم لا يتوبون؟ مالي أراكم تحرصون على ما كفيتم، وتضيعون ما به أُمرتم؟ إن العلم يوشك أن يرفع، ورفعه ذهاب العلماء، ألا وإني أعلم بشراركم من البيطار بالفرس، الذين لا يقومون القرآن إلا هجرا، ولا يأتون الصلاة إلا دبرا.»[6] فهو يلومهم على تفريطهم في دينهم

---

[1] ـ المصدر نفسه، ص295.

[2] ـ المصدر نفسه، ص297.

[3] ـ المصدر نفسه، ص297.

[4] ـ المصدر نفسه، ص295.

[5] ـ المصدر نفسه، ص294 - 295.

[6] ـ المصدر نفسه، ص296.

وتخليهم عن الفضائل واتجاههم نحو الرذائل، كما يناشدهم إلى طلب العلم، والإستفادة من كل عمل يقربهم إلى الله عز وجل، وخطابه توجه به إلى الفئة الضالة وقد زود كلامه بعلامات مميزة للفئة المقصودة، فهم لا يقرأون القرآن ولا يتدبرونه ويتأخرون عن صلاتهم ويزهدون في العلم. فالحجاج استعمل هذا الأسلوب كي يثنيهم عن هذا الطريق.

4. التعزية:

وقد ورد هذا الغرض بنسبة **13%**. لما مات عبد الملك بن مروان قام الحجاج الذي كان مقربا كثيرا منه بخطبة تأبينية وسط الجمهور فقدم تعازيه لهم في وفاة خليفتهم قائلا:«أيها الناس إن الله تعالى نعى نبيه صلى الله عليه وسلم إلى نفسه فقال: «إنك ميت وإنهم ميتون» وقال:«ما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومات الخلفاء الراشدون المهتدون المهديون، منهم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان الشهيد المظلوم، ثم معاوية، ثم وليكم البازل الذي جربته الأمور وأحكمته التجارب، مع الفقه وقراءة القرآن، والمروءة الظاهرة واللين لأهل الحق، الوطء لأهل الزيغ، فكان رابعا من الولاة المهديين الراشدين، فاختار الله ما عنده وألحقه بهم.»[1] فمن الركائز التي يقوم عليها التأبين ذكر خصال الفقيد، والتعاطف مع أهله، فالحجاج يعلمهم أنه حزين لمصابهم وأنه حري بهم أن يحزنوا على من كانت فيه هذه الصفات، وهذا الموقف أجبر الحجاج وألزمه أن يكون ليّنا مع أهل العراق الذين كان قاسيا معهم في خطبه السابقة.

[1] ـ المصدر نفسه، ص298.

المطلب الخامس: التصريحيات:

أو ما يسمى بالإعلانيات وهي أفعال تهدف الى إحداث تغيير في الوضع القائم فور التلفظ بها ولا تستوجب وجود شرط الإخلاص وتسمى أيضا بالإيقاعيات وذلك لما تحدثه من وقع حين تواجدها «وجميع الإيقاعيات الصحيحة لها محتوى قضوي صادق من هذه الجهه تتميز الإيقاعيات عن غيرها من الأفعال الكلامية بأن إنشاءها بنجاح يكفي لتحقيق المطابقة بين القول والعالم.»[1] ولها من الأغراض الكثير منها: الإعلان، الحزن، التعيين، ...في خطب الحجاج لم يتخط هذا الصنف عتبة الـ 1% كما أنه لم يكن فعلا غالباً على إحدى الخطب ورد فيها بغرضين إنجازيين فقط وهما الإعلان، والحزن وكل منهما ورد مرة واحدة.

التَّـــصـــريـــحيـــات			
الغرض الإنجازي	مرات الورود	مواضع الورود	نسبة الورود
الإعلان	مرة واحدة	ص (298 ـ 299)	50 %
الحزن	مرة واحدة	ص299.	50 %

1. الإعلان:

وكان بنسبة **50%**، ونجده في قوله: «يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق إني أريد الحج وقد استخلفت عليكم ابني محمد وهذا وما كنتم له بأهل وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأنصار أن رسول الله أوصى أن يُقبل من محسنهم وان يُتجاوز عن مسيئهم وإني أمرته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم.»[2] وكما هو واضح أن الخطيب اجتمع بأهل العراق قبل ذهابه لأداء فريضة الحج ليعلن لهم ذهابه وكذلك لإعلان ترك منصبه في فترة حجه لابنه محمد كما صرح بمجموعة من التعليمات والأوامر التي أوصى ابنه باتباعها وتطبيقها مع أهل العراق في فتره غيابه.

2. الحزن:

وهو غرض إنجازي يقترب كثيرا من أغراض الفعل الكلامي "التعبيريات" لأن المتكلم يكون فيه في حالة بوح عن مشاعره وكشف عن أحاسيس اختلجته حيال موقف ما أو حادثة معينة، وورد في مرة واحدة في خطب الحجاج ومثّل **50%** من التصريحيات، ونستشف ذلك من خلال قول الحجاج:

[1] ـ طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص32.

[2] ـ أحمد زكي صفوت، ص298 – 299.

«أيها الناس محمدان في يوم واحد!»[1] في خطبته حين أصيب بولده محمد وأخيه محمد في يوم واحد اختار المتكلم أسلوب التعجب الذي جاء بغرض الحزن، فقد بدا كلامه صادقا تتخلله حسرة، كما بدا المتكلم حزينا منكسرا يحتاج إلى المواساة.

[1] ـ المصدر نفسه، ص299.

❖ المبحث الثاني: بلاغة الخطاب والفعل الكلامي في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي:

المطلب الأول: الحقيقة والمجاز في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي:

في أي نص أدبي نجد نسبة من المجاز كما لا يخلو من نسبة من الحقيقة، فكل منهما يمثل بناءً لهذا النَّص وسنبتدأ بمفهوم كل منهما:

الحقيقة:

يقول "عبد القاهر الجرجاني": «فكل جملة وضعتها على أن الحكم على ما هو عليه في العقل وواقع موقعه فهي حقيقة، ولن تكون كذلك حتى تعرى من التأول، ولا فصل بين أن تكون مصيبا فيما أفدت بها من الحكم أو مخطئا، وصادقا أو غير صادق.»[1] ، ويعرفها "ابن جني" بقوله «إنّ الحقيقة ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة والمجاز ما كان بضد ذلك.»[2] فالحقيقة حسبهما هو التركيب الواضح البيِّن الذي لا يحتمل التأويل وليس له من المعاني إلا معنى واحد والذي لا تعقيد فيه.

المجاز:

يعرفه الشريف الجرجاني: «هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له بالتحقيق يصلح في اصطلاح به التخاطب مع قرينة مانعة عن إرادته أي أرادة معناها في ذلك الاصطلاح.»[3]، ويقول "أحمد الهاشمي": «المجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وُضع في اصطلاح التخاطب مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي.»[4] وهو ملجأ البلاغيين والشعراء والخطباء لإعطاء لمسة مغايرة على إنتاجاتهم.

وسنحاول من خلال هذا الجدول تصنيف كل من الحقيقة والمجاز في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي موضحين نوع المجاز ومدى تأثيره في القول.

---

[1] ـ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1409هـ/ 1988م، ص331 ـ 332.

[2] ـ عثمان أبو الفتح بن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، (دط)، (دت)، ص442.

[3] ـ الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، (دط)، بيروت، لبنان، 1416هـ/ 1995م، ص204.

[4] ـ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة (في المعاني والبيان والبديع)، مؤسسة هنداوي سي آي سي، ط1، 2019م، ص279.

عنوان الخطبة	الحقيقة	المجاز	نوعه
خطبته حين ولي العراق	«إني أقسم لأجد رجلا تخلف ... إلا سفكت دمه وأنهبت ماله وهدمت منزله.» «أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم»	«لألحونّكم لحو العصا» «لأعصبنّكم عصب السلمة» «لأقرعنّكم قرع المروة» «لأضربنّكم ضرب غرائب الإبل» «فإنّكم كأهل قرية كانت آمنة ... يصنعون»	تشبيه مجمل تشبيه مجمل تشبيه مجمل تشبيه مجمل
		«إن أمير المؤمنين ...فرماكم بي»	مجاز مرسل علاقته المحلية
		«أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني»	تشبيه بليغ
		«إن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه نثر كنانته بين يديه... وأصلها مكسرا» «ما يقعقع لي بالشّنان»	كناية عن صفة كناية عن صفة
		«إني لأحمل الشر بحمله وأحذوه بنعله.» «إني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها وإنّي لصاحبها.» «لأنّكم طالما أوضتعم في الفتن واضطجعتم في مراقد الظلال.» «أن أمير المؤمنين نثر كنانته بن يديه ... وأصلها مكسرا»	استعارة مكنيَّة استعارة مكنيّة استعارة مكنيَّة استعارة تصريحيّة
خطبته بعد وقعة دير الجماجم	«يوم دير الجماجم ما يوم دير الجماجم! بها كانت المعارك والملاحم» «يوم الزاوية ما يوم الزاوية	«إذ وليتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها.» «يا أهل الشام إنّما أنا لكم كالظليم الرامح عن فراخه.»	تشبيه مفصل تشبيه مفصل

		«فكيف تنفعكم تجربة، أو تعظكم وقعة، أو يحجزكم إسلام، أو ينفعكم بيان؟»	**استعارة مكنيّة**
		«ألم تنهكم المواعظ، ألم تزجركم الوقائع؟»	**استعارة مكنيَّة**
		«حيث رمتم المكر»	**كناية عن صفة**
		«ويذهل الخليل عن خليله»	**كناية عن صفة**
خطبة له بالبصرة	«وهذه لعبد الله وخليفة الله عبد الملك بن مروان» «أمَّا والله لو أدركته لضربت عنقه.»	«والله لأجعلنكم كالرسم الدائر وكالأمس الدَّابر»	
خطبته وقد أُرجف أهل العراق بموته	«مات الحجاج ومات فمه» «وما رأيت الله رضي بالتَّخليد إلا لأهون خلقه.»	«وأكلت الأرض لحمه ومصَّت صديده.»	**استعارة مكنية**
خطبته لما أُصيب بولده محمد وأخيه محمد في يوم واحد	«محمدان في يوم في يوم واحد» «أمَّا والله ما كنت أحب أنَّهما معي ... في الآخرة.»	«أن تُدال الأرض منَّا كما أدلنا منها ... وشربنا من مائها»	***تشبيه مفصَّل***

التشبيه:

التشبيه المفصل:

وهو «ما ذكرت فيه الأداة ووجه الشبه.»[1] ومن أمثلة التشبيه عند الحجاج ما ورد في خطبته بعد وقعة دير الجماجم وفيها يقول: «إذ وليتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها»[2] وقد شبه الحجاج فرار أهل العراق من معركة دير الجماجم خوفا من الموت بفرار الإبل الشوارد إلى أوطانها؛ وقد استوفى هذا التشبيه جميع أركانه من مشبه (أهل العراق)، ومن مشبّه به (الإبل الشوارد)، والأداة (الكاف)، أما وجه الشبه بينهما فتمثل في الفرار والهروب خوفا من الموت.

ويبرز جمال هذا التشبيه في أنَّه مستمد من واقع الحجاج المعاش؛ أي أنَّه مستمد من البيئة العربية الصحراوية وهذا ما ينم عن براعة الحجاج في توظيف الصور.

وقوله أيضا: «يا أهل الشام إنّما أنا لكم كالظليم الرَّامح عن فراخه»[3] إذا كان التّشبيه السابق قد يُراد به ذمُّ أهل العراق والازدراء بهم فهو فهذا التّشبيه يمدح ويدافع عن أهل العراق من كل خطر قد يصادفهم فنجده يشبه نفسه بذكر النَّعام الذي يحمي فراخهم من كل خطر يهددهم وهو تشبيه استوفى كلَّ الأركان من مشبه (الحجّاج) ومشبه به (الظليم) ووجه الشبه (الرّامح) والأداة (الكاف).

فوجه الإبداع في هذا التشبيه أنّه أحسن اختيار المشبه به فجعله أقوى وأضخم الطيور (ذكر النّعام) وهو هنا يطمئن أهل الشام بمودته وحبه لهم.

أما قوله: «أن تُدال الأرض منا كما أدلنا منها»[4] المتأمل في هذا التشبيه يجد أسلوبا بلاغيا منفردا بذاته وذلك لأن كل من المشبه والمشبه به جملة فعلية [5]؛ أي أنَّه شبه فعلا بفعل، فطرفا التشبيه يشكلان طباق إيجاب أو مقابلة وهو ما زاد التشبيه رونقا وجمالا فهو يجسِّد حقيقة لا مفر منها وهي الموت والزوال.

وفي قوله: «لا يغمز جانبي كتغماز التين»[6]

نجده في هذا التشبيه يجمع بين صورتين فنِّيتين في تركيب واحد فهو لا يشير إلى المشبه به باعتباره حالة واقعية وإنَّما قصد بالضرورة من هذا التعبير من إفهام للمتلقي بأن له شخصية يصعب كسرها أو التغلب

---

[1] ـ فضل حسين عبّاس، البلاغة فنونها وأفنانها، دار النّفائس، ط12، عمَّان، الأردن، 2009م، ج2، ص66.

[2] ـ أحمد زكي صفوت، ص295.

[3] ـ المصدر نفسه، ص294.

[4] ـ المصدر نفسه، ص299.

[5] ـ عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (دط)، (دت)، ج1، ص233.

[6] ـ أحمد زكي صفوت، ص290.

عليها. كما أنَّ هذه العبارة كناية عن فطنة وحذق الحجاج التي تمكنّه من مواجهة الفتن المنتشرة في العراق.

التشبيه المجمل:

وهو «ما لم يُذكر وجه الشبه فيه، فمنه ظاهر يفهمه كل أحد ... ومنه خفي لا يدركه إلا الخاصة.»[1] ولقد حوت خطبة الحجاج عندما ولي العراق مجموعة من التشبيهات وردت في سياق واحد وهي:

(«لألحونكم لحو العصا»، «لأعصبنكم عصب السلمة»، «لأقرعنكم قرع المروة»، «لأضربنكم ضرب المروة»)[2]

وفي قوله: «لألحونكم لحو العصا»

الحجاج في هذه الصورة مثَّل نفسه بأنه سيسلخ جلود أهل العراق عن أجسامهم كما تُزال القشرة عن العصا فنقل المشبه به دلالة مادية قوية للعذاب وفيها تصوير للعذاب في أقسى صوره لا يوجد ألم أقسى من نزع جلده هو حي. وفي هذه العبارة نوع آخر من العقاب إذ قرر الحجاج أن يعصب أهل العراق كعصب السلمة و«السلمة هي شجرة من العضاة ذات شوك فتعصب أغصانها بأن تجمع بعضها إلى بعض بحبل شديد، ثم يتخبط بعضها ورقها»[3] هذه الصورة تنقلت من الدلالة المادية (عصب السلمة) إلى الدلالة المعنوية (تهديد الحجاج) فهو بذلك يبلغ لهم رسالة بأنه لا يخشاهم وسيسلط عليهم عذابا شديدا .

وقوله أيضا: «لأضربنكم ضرب غرائب الإبل»

الحجاج هنا شبه ضربه لأهل العراق بضرب غرائب الإبل وهي صورة مستمدة من واقع حياته البدوية فكان وجه الشبه المشترك بينهما هو التشابه في العقوبة بين أهل العراق وغرائب الإبل "الضرب" وهو بذلك استطاع إخراج العذاب في صور متعدد تلاحمت جميعها من أجل ترهيب أهل العراق. كذلك قوله: «فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان، فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون»[4] فهذا التشبيه مقتبس من القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ (سورة النحل الآية 112).

---

[1] ـ أمين أبو ليل، علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار البركة، ط1، عمان، الأردن، 2006م، ص167.

[2] ـ أحمد زكي صفوت، ص290.

[3] ـ عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (دط)، (دت)، ج2، ص309.

[4] ـ أحمد زكي صفوت، ص290.

في هذه الصورة تشبيه العراقيين بأهل القرية الظالمة فقد لجأ إلى المشبه به بالجاهز من القرآن ليثبت لأهل العراق بأنهم يستحقون العذاب والعقاب ولعل هذه الصورة من أجود وأبدع الصور لدى الحجاج وتشكلت عناصر هذا التشبيه في مجموعة من الثنائيات سنوضحها في الجدول الآتي:

المشبه	أداة التشبيه	المشبه به
العراق	الكاف	القرية
أهل العراق	الكاف	أهل القرية
جحود أهل العراق بأنعام ولاتهم وخلفائهم	الكاف	كفر أهل العراق بأنعام الله عز وجل
عقاب الحجاج	الكاف	عقاب الله عز وجل
الجوع والخوف	الكاف	الخوف والجوع

يعد هذا التمثيل من أحسن أنواع التشبيه لأنّ السَّامع ليس له حق الرد او الإنكار لما سمعه لأن منبعه القرآن الكريم وبذلك يكون هذا التشبيه أداة حقيقية للإقناع ومن ثم التأثير.

التشبيه البليغ:

وهو «تشبيه حذف منه الأداة ووجه الشبه»[1] وقد اعتمد عليه الحجاج بن يوسف الثقفي في خطبته حين ولي العراق فقال:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

في الشطر الأول بعض الصفات التي يشبِّه الحجاج بها نفسه، "أنا ابن جلا" وهي تعني الليث و«كان ابن جلا هذا صاحب فتك يطلع في الغارات من ثنية الجبل»[2] ثم انتقل إلى صفة أخرى وهي "طلاع الثنايا" و«تعني الطريق في الجبل»[3] وهي صفة تدل على أنَّ الحجاج قوي شديد يتحمل المشاق، فهو قادر على أن يطلع الثنايا المرتفعة وهي إشارة على أنَّه لا فرق بينه وبين ابن جلا في كلِّ الصفات.

ولعل توظيف الحجاج لهذا التشبيه كفاتحة لخطبته جعله أبلغ وأحكم في تحقيق غايته وهي إدراك المتلقي لشجاعته وقوته.

[1] ـ فهد خليل زايد، البلاغة بين البيان والبديع، دار يافا العلمية، ط1، عمان، الأردن، 2009م، ص17.

[2] ـ محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط3، القاهرة، مصر، 1997م، ص258.

[3] ـ محمد بن يزيد المبرد، المصدر نفسه، ص282.

الاستعارة:

الاستعارة المكنية:

وهي من الصور البيانية الأكثر ورودا في خطب الحجاج وحدُّها «أنَّها ما حُذف منها المشبه به يرمز إليه بشيء من لوازمه.»[1] والمتأمل في استعارات الحجاج بن يوسف الثقفي يلفي أنَّ جماليتها تكمن في حسن صياغتها وابتكار الصور المعبرة بطرق تشخيصية تحمل المتلقي على تخيل صور جديدة لم يألفها من قبل وتؤثر فيه وتسحره في كثير من الأحيان.

ونمثل ذلك بقوله: «إني لأحمل الشر بحمله»[2]

قد شبه الحجاج "الشر" وهو أمر معنوي بشيء مادي يحمل وتراه العين، بينما هو إحساس لا يكون إلَّا في النَّفس، وحذف المشبه به (شيء يحُمل وتشاهده الأبصار) وترك صفه من صفاته للدلالة عليه وهي لفظة "الحمل" وجاء ذلك على سبيل الاستعارة المكنية، وتلتها استعارة مكنيّة أخرى وهي: «أحذوه بنعله». جعل الحجاج "الشر" في هذه الصورة "إنسان يمشي" فحذف المشبه ورمز له بلازم من لوازمه وهو لفظ "نعله" فإسناد المشي إلى الشر استعارة تخييلية. ففي هاتين الاستعارتين نجد الحجاج يستعمل اللَّفظ الذي يجسد المعنى المادي وغرضه من ذلك التأثير في المتلقي وإقناعه بعدم مواجهته؛ لأنّ من صفاته القوة والبطش كما جسدتا مشاعر الحجاج التي تفيض بغضا وكرها تجاه أهل العراق فيقول "إيليا حاوي": «فأنت ترى الحجاج يتوسل بالصور التي تجسد مشاعره»[3] وفي قوله: «وإني لأرى أبصارا طامحة وأعناقا متطاولة ورؤوسا قد أينعت وحان قطافها وإنِّي لصاحبها.»[4]

عمد الحجاج هنا إلى تشبيه رؤوس الخارجين عن خلافة بني أمية بثمار الأشجار النَّاضجة والتي حان أوان قطافها، وفي هذه الصُّور تبرز عاطفة السخرية وتتعاظم نظرة الازدراء فكأنّه داخل بستان ثمره يانع في موسم القطف والجني، كما في قوله تعالى: ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٩٩﴾ (سورة الأنعام ـ الآية 99) كما يستقي الحجاج من المعجم الشعري العربي وقد وردت اللفظة ذاتها عند يزيد بن معاوية في قوله:[5]

ولـــها بالمـــاطـــرين إذا ... أكـــل النَّـــمـل الذي جمعا
خـــرفـــة حتى إذا ربعـــت ... ســـكنت مـــن جـلَّق بيـعا
فـي قـباب حـــول دسـكـرة ... حولـها الزيتون قد ينـعـا

---

[1] ـ أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، ص270 .

[2] ـ أحمد زكي صفوت، ص289.

[3] ـ إيليا حاوي، فن الخطابة وتطوره عند العرب، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1997م ص12.

[4] ـ أحمد زكي صفوت، ص289.

[5] ـ محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج1، ص301.

ثم ينتقل من سخريته منهم إلى مشهد آخر وذلك في قوله: «وكأني أنظر إلى الدِّماء بين اللِّحى والعمائم تترقرق»[1] عمد إلى التخييل والتوهم بواسطة هذه الصورة «إذ به ينتقل بالسامعين عبر الوهم من الواقع الذي يعيشونه في المجسد إلى واقع خيالي آخر ظهرت لهم فيه الدماء بين العمائم واللّحى والرؤوس الملتوية والأعناق.»[2] فقد كانت الاستعارة هنا أداة ناجحة لتشخيص المعنى في صورة محسوسة من أجل التأثير في عقول العراقيين البدائية في تفكيرها وخيالها فهي لا تدرك معنى العذاب والاضطهاد إلا من خلال تصويرها في صورة مجسدة أمامهم، وإن «المجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة وأحسن موقعا في القلوب والأسماع.»[3]

ويقول أيضا: «لأنَّكم طالما أوضعتم في الفتن، واضطجعتم في مراقد الضلال»[4] شبه الحجاج الضلال الذي يعيش فيه أهل العراق ومن شقاق ونفاق وتفرق إلى عدة أحزاب بالحيوان المفترس الذي له عدة مراقد يعيش قيها، فهذا الضلال الذي يعيشونها يهدد أمن الخلافة الأموية واستقرارها . فحذف المشبه به (الحيوان المفترس) وأبقى على لازمتين من لوازمه وهما لفظتي "اضطجعتم" و "مراقد" على سبيل الاستعارة المكنيّة.

في خطبته حين أرجف أهل العراق بموته «وأكلت الأرض لحمه وامتصت صديده»[5] أسند الحجاج فعل الأكل إلى الأرض، حيث شبهها بحيوان مفترس يأكل لحم فريسته ويمتص صديدها بعد موتها فهو إسناد مجازي لغوي فالأرض لا تأكل اللحم ولا تمتص صديد الإنسان بعد موته. وقوله أيضا: في خطبته التي ألقاها بعد وقعة دير الجماجم «فكيف تنفعكم تجربة أو تعظكم وقعة؟»[6] وكذلك قوله «ألم تنهكم المواعظ» شبَّه الخطيب وقعة دير الجماجم بإمام يقدم النصائح والمواعظ لأهل العراق فحذف المشبه به إمام وأبقى ما يدل عليه "تعظكم "و "المواعظ" لأن من صفات الإمام الوعظ والنصح.

وتأتي بعدها صورة أخرى وهي «...أو يحجزكم إسلام»[7] حيث شبه الإسلام وهو دلالة معنوية بحاجز مادي يمارس وظيفة الحجز والإيقاف على الناس أما في قوله «حتى عضَّكم السلاح»[8] فقد شبه الحجاج السلاح بالحيوان الشرس حذف المشبه به (الحيوان الشرس) وأبقى على قرينة لغوية "عضكم" على سبيل

---

[1] ـ أحمد زكي صفوت، ص289.

[2] ـ إيليا حاوي، فن الخطابة وتطوره عند العرب، ص12.

[3] ـ الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، مطبعة العادة، ط1، القاهرة، مصر، 1383هـ/ 1963م، ج1، ص422.

[4] ـ أحمد زكي صفوت، ص290.

[5] ـ المصدر نفسه، ص300.

[6] ـ المصدر نفسه، ص293.

[7] ـ المصدر نفسه، ص293.

[8] ـ المصدر نفسه، ص294.

الاستعارة المكنية.

الاستعارة التصريحية:

عرَّفها الدكتور علي فراجي بقوله: «هي ما صرح فيها بلفظ المشبه به أو هي ما أُستعير فيها لفظ المشبه به للمشبه»[1] يقول الحجاج «إن أمير المؤمنين أطال الله بقائه نثر كنانته بين يديه» فقد عمد إلى تشبيه رجاله وقادة جيشه بالجعبة التي توضع بداخلها السهام وهي الكنانة إلا أنه لم يذكر لفظ المشبه (قادة الجيش) وصرَّح بالمشبه به (الكنانة) وتبرز بلاغة وجمالية هذه الصورة في حسن اختيار المشبه به (الكنانة) وهي لازمة تدلُّ على الحرب والسلاح والقوة وهنا تبرز براعته في إحكام صناعة الصورة. ويقول وجدني أمرها عودا وأصلبها مسكرا الخطيب هنا يشبه نفسه بسهم من الأسهم الموجودة في الكنانة لكنَّه سهم صلب قوي على من يريد كسره فحذف المشبه (الحجاج) وصرَّح بالمشبه به (عودا).

إن كانت الاستعارة المكنية طاغية على خطب الحجاج فإن التصريحية قليلة الورود؛ ولعل السبب في ذلك يعود إلى أنه يعتمد على إبراز المشبه الذي يمثل عنده أساس الاهتمام في الغالب لأنه يحاول إضافة الصفات إليه أكثر من الطرف الآخر (المشبه به).

المجاز المرسل:

هو «كلمة أُستعملت في غير معناها الأصلي لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.»[2] ويأتي في خطب الحجاج في قوله: «إن أمير المؤمنين نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها، فوجدني أمرُّها عودا وأصلبها مكسرا فرماكم بي»[3] المجاز هنا في كلمة "كنانته" فالخطيب هنا أطلق المحل "الكنانة" وأراد المحال فيها وهو "السِّهام" مجاز مرسل علاقته المحليَّة.

الكناية:

وهي «لفظ أُريد به غير معناه الذي وُضع له مع جواز إرادة المعنى الأصلي لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته.»[4] ولقد أدرك الحجاج أن تأكيد معنى الترهيب والوعيد لا يكون بالتصريح به بل عن طريق كناية؛ لأنها تجسد المعنى بصورة واضحة وأقرب إلى الفهم وأكثر تأثيرا في النفس، وتجسدت الكناية في قوله:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

ففي قوله "طلاع الثنايا" هي صفة تدل على أنّ الحجاج قوي يتحمل المشاق وأنّه قادر على أن يطلع

[1] ـ علي فراجي، محاضرات في تطبيقات علم البيان، دار هومة، (دط)، بوزريعة، الجزائر، ص89.

[2] ـ بسَّام البركة، المجاز المرسل والحداثة، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 38، 1986م، ص67.

[3] ـ أحمد زكي صفوت، ص290.

[4] ـ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة (في المعاني والبيان والبديع)، ص345.

الثنايا مهما بلغ ارتفاعها وصعوبتها فهي كناية عن صفة القوة والصلابة.

والشطر الثاني احتوى أيضا على كناية في قوله: "متى أضع العمامة تعرفوني" فالعمامة هنا كناية عن الحرب فتلك دلالتها في العرف العربي فهي تُلبس في الحرب وتُوضع في السِّلم كما هو واضح من معنى البيت وفيها تلميح بأنَّه لا يزال مرتديا عمامته إذن هو يعلن الحرب وعلى العراقيين أن يأخذوا حذرهم من بطشه وهي كناية عن صفة القوة في المحاربة.

ولعل هاتين الصورتين الأخيرتين من أجمل ما أبدع الحجاج في الكناية إذ جعل فاتحة خطبته بهذا البيت بدلا من الفاتحة المتعارف عليها من بسملة أو حمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ولم تكن عبثا من الحجاج بل عن بعد نظر وحسن تقدير من الخطيب فابتدائه بهذا البيت كنايه على أنه سيأخذهم بقوة وعنف منذ البداية وهو من قبيل الكناية بالإشارة اللفظية المفهومة من قرائن الأحوال.

وقوله أيضا: «إن أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ نثر كنانته بين يديه، فعجم عيدانها، فوجدها عودًا، وأصلبها مكسرا»[1] وهي كناية عن صفة تمثلت في صعوبة الاختيار والبحث عن الأقدر والأجدر بتولي أمر الفتنة في العراق وفيها إشارة إلى أنَّ الحجاج بصلابته سيتولى مهمة قتال أهل العراق وإخماد نار الفتنة في العراق.

إن كنَّا هذا القول قد أوردناه سابقا في عنصر الاستعارة لأن كلَّ كناية يمكن أن تكون استعارة وأما في قوله «ما يقعقع لي بالشنان»[2] والشنان يقصد به «القربة البالية»[3] والتي تستعمل لإخافة البعير وإفزاعهم وهي كناية عن صفة الشجاعة فالخطيب جاء بهذا التعبير من واقع بيئته التي يعرفها العراقيون ليبين لهم واقع رجل لا يخاف ولا يفزع من أي أحد.

ومن الكنايات أيضا في خطبته بعد وقعة دير الجماجم و يقول فيها: «حيث رمتم المكر»[4] فهو بهذا التعبير يصف أهل العراق بأنهم أهل خبث وغدر وخيانة وخديعة فجاءت الكناية هنا عن صفة الخبث.

أما في قوله: «ويذهل الخليل عن خليله» فهو في هذه الصورة يصف هول معركة "دير الجماجم" التي تُعدُّ أعظم واقعة لما حدث فيها من قتل وسفك للدماء وقطع للرؤوس، فهي تُنسي وتشغل الأخ عن أخيه من قوة الدهشة والانبهار فهذه الصورة إذن كناية عن الدهشة والانبهار.

فبهذه الكنايات استطاع الحجاج أن يقوِّي الصورة الفنيَّة وأن يجعل منها عنصرا من عناصر الإقناع لدى جمهوره وربما تجيء أدلة يسيطر بها على قلوب العراقيين وعقولهم فيرهبهم قبل أن يوقع بهم العقاب وهكذا

---

[1] ـ أحمد زكي صفوت، ص290.

[2] ـ أحمد زكي صفوت، ص290.

[3] ـ محمد أبو الحسن ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مراجعة: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1987م/ 1407هـ، ج4، ص35.

[4] ـ أحمد زكي صفوت، ص294.

فقد بلغت خطبه الذروة الفنيَّة في صناعة الصور وإحكام عناصرها.

المطلب الثاني: تأثير التعابير المجازية على مقصدية الخطاب في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي:

إنَّ الحجَّاج قد مال في أكثر خطبه إلى استعمال الأساليب المجازية وبرع فيها لأنه كان متوقِّد الذهن حاضر الفكر، وكانت القدرة البيانية الفائقة هي الجزء المميز في شخصيته فاستطاع بهذه القدرة التأثير على الطرف المقابل والتحكم في زمام الأمور بالحفاظ على أمانة البيت الأموي، وأيضا لما كان عليه أهل العراق من بلاغة وفصاحة في ذلك العصر، فالعصر الأموي تميز بنبوغ الكثير من الشخصيات منها الحجاج. وبمقاربة خطب هذا الأخير نجدها تزخر بالصور البيانية والعناصر البلاغية التي لعبت دورا كبيرا في مد الخطب بفاعلية واضحة وقدرة على التأثير في المتلقين عن طريق إسهامها في رفع إيقاع الخطاب فيها، الأمر الذي تولَّد نتيجة ثلاثة أمور:

وأولهما تنوع العناصر البلاغية ما بين عناصر معنوية وبيانية وبديعية؛ إذ احتوت الخطب على التشبيهات والمجازات المرسلة والاستعارات والكنايات. وثانيهما تعدد هذه العناصر نتيجة تكرار الخطيب لإيرادها في أبنية الخطب.وثالثهما الثراء الذي أمدت به هذه العناصر الخطب بالدلالات والصور البلاغية والمؤثرات البعيدة والإيحاءات.

وكان للحجاج لمسته وبصمته الخاصة حيث «كان يختار لكتابته وخطابته التعبيرات البديعية كما كان مولعا بانتقاء الألفاظ، وكان من الذين يتحمسون للغة العربية. لذلك نراه يهشّ إذا سمع قولا عربيا فصيحا، ولا تمنعه هيبة الإمارة من أن يثني علنًا على قائله.»[1] وكل ما أنتجه الحجاج سواء كان ذلك من الرسائل أو الشعر أو الخطب يحتوي على زخم كبير من المظاهر البلاغية والصور البيانية والتعابير المجازية التي تدعو إلى التأمل والتفكر فيها ويتذوقها القراء بشكل مختلف مما يولّد تأويلات جديدة في كل مرة.

وللمجاز مكانته التي لا تُنتزع عند العرب فيستعملونه كثيرا في تعابيرهم الحياتية لأنَّه يضفي مسحة جمالية على الكلام لا يعطيها التعبير المباشر «فالمجاز من أحسن الوسائل البيانية التي تهدي إليها الطبيعة؛ لإيضاح المعنى؛ إذ به يخرج المعنى متصفا بصفة حسية، تكاد تعرضه على عيان السامع، لهذا شُغفت العرب باستعمال المجاز لميلها الى الاتساع في الكلام وإلى الدلالة على كثرة المعاني ولما فيه من الدقة في التعبير فيحصل للنَّفس به سرور وأريحية ولأمر ما كثر في كلامهم حتى أتوا فيه بكل معنى رائق، وزينوا به

[1] ـ محمود زيادة، الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، دار السَّلام للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، ط1، مصر، 1415هـ/ 1995م، ص377.

خطبهم وأشعارهم»[1]، فهو يدفع القارئ أو المتلقي إلى التأمل في العبارة المجازية وبذل جهد في فك اللبس وكشف الغموض عنها واستنباط كل القراءات الممكنة لها، لتبقى جدلية الحقيقة والمجاز قائمة.

❖ المبحث الثالث: الفعل الكلامي والنَّص في خطب الحجاج:

المطلب الأول: النَّصيّة ومعاييرها في خطب الحجاج:

عرَّفها "سعيد علوش" بقوله: «النَّصيَّة طرقٌ تستحضر لتكوين نحو نصي وتتخذ النَّصيَّة شكل تمثيليَّة سيميائيَّة للخطاب.»[2]. « ويُراعى في دراسة الأشكال النَّصيَّة جوانب اتصاليَّة وتداوليَّة وأسلوبيَّة ودلاليَّة ونحويَّة بصورة حتميَّة.»[3] والنَّصيَّة أو النَّصانيَّة من المصطلحات التي تلاقي ترحيبًا و استعمالًا واسعًا من قبل علماء اللُّغة كما أنَّها أهم مبحث في اللِّسانيات النصيَّة فهي تتفرع منها.

والنَّصيَّة ترصد «العناصر القارَّة في جميع النُّصوص المنجزة مهما كانت مقاماتها وتواريخها ومضامينها»[4] أي أن النَّصيَّة تستطلع النَّص من جميع جوانبه العامة كانت أو الخاصة، وذلك قد يكون سببا وعاملًا في تجنيب النَّص تعدُّد التأويلات وإعطاء معناه مسلكًا وحيدًا فلا يُفسح المجال لاحتمال غيره من المعاني وهي بذلك تجنِّبه المغالطات.

معايير النَّصيَّة :

لقد حدد "روبرت دي بوجراند" معايير النَّصيّة السّبعة الأمر الذي لم تتوفر عليه دراسات "زيليغ هاريس" المرهص الأوَّل لولادة هذا العلم الجديد وهذه المعايير بمثابة المقاييس التي يتأسس عليها النَّص وهذه المعايير هي كالتَّالي:

1. الاتساق (Cohesion):

أو السبك، وهو «يترتَّب على إجراءات تبدو بها العناصر السَّطحية على صورة وقائع يؤدي السَّابق منها إلى اللاحق، بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي، وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط.»[5] ومصطلح السَّبك أطلقه "سعد مصلوح"؛ بل إنَّ العديد من المصطلحات أُطلقت حتَّى يُراد بها هذا المعنى كلٌّ حسب ترجمته وزاوية رؤيته فمنهم من ترجمه "بالرَّبط" أو "التَّضام" وهناك من يترجمه "بالاتساق" أو "التناسق"، و«وسائل التضام تشتمل على هيئة نحوية من المركبات والتراكيب والجمل وعلى أمور مثل التكرار والألفاظ الكنائية والأدوات والإحالة المشتركة الحذف والروابط.»[6] وعمومًا إنَّ هذا المعيار يهتم

---

[1] ـ أحمد الهاشمي جواهر البلاغة (المعاني والبيان والبديع) ص297.

[2] – سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبيَّة المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1985م، ص214.

[3] – سعيد حسن بحيري، علم لغة النَّص، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان–، ط1، القاهرة، مصر، 1997م، ص148.

[4] ـ الأزهر الزنَّاد، نسيج النَّص، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1993م، ص18.

[5] – روبرت دي بوجراند، النَّص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، ط1، القاهرة، مصر، 1998م، ص 103.

[6] – المرجع نفسه، ص103.

بالنَّص ظاهريًا أي بالوسائل التي تساهم في تماسك النَّص وترابطه والعوامل المساعدة على تناسق أجزائه فيما بينها.

ويتضح هذا المعيار في خطب الحجاج جليا بوسائله المختلفة مثل:

- **الإحالة:**

هي العامل الذي يستند عليه أي باحث ليثبت مدى اتساق النّص الذي بين يديه، وأهم عنصر من عناصر الاتساق، ويعرفها "جون لاينز" أنَّها «علاقة بين الأسماء والمسميَّات، أي أنَّ الأسماء تحيل إلى المسميَّات»[1]، والإحالة نوعان: **إحالة نصية** وبدورها يندرج تحتها الإحالة القبلية والإحالة البعدية، **وإحالة سياقية**.

وعندنا رصدنا للإحالات عند الحجاج نجدها كثيرة جدا ولذلك سنقف على نماذج منها في خطبه.

كثيرا ما يستخدم الحجاج ضمير أنتم وهذا بديهي لأن أكثر خطاباته تكون موجهة لأهالي العراق ومن ذلك قوله: «إن الشيطان قد استبطنكم فحشاكم نفاقا وشقاقا، وأشعركم خلافا»[2] وهي إحالة على أهل العراق الذين سبق ذكرهم في بداية الخطبة، وأما خطبته حين قال «فخالط اللحم والدم والقصب والمسامع والأطراف والأعضاء والشغاف ثم أفضى إلى المخاخ والأصماخ ثم ارتفع فحشَّش ثم باض ففرَّخ فحشاكم نفاقا وشقاقا وأشعركم خلافا اتخذتموه دليلا تتبعونه وقائدا تطيعونه ومؤامرا تستشيرونه.»[3] فقد استعمل الإحالة إلى الضمير الغائب "هو" وفي إشارة إلى الشيطان الذي تغلغل بين أهل العراق وأفسد الأنفس وحشاها نفاقا وشقاقا. وكلها إحالات قبلية.

أما من نماذج الإحالة المقامية فمنها قوله: «إن الله كفانا مئونة الدنيا وأمرنا بطلب الآخرة فليته كفانا مئونة الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا.»[4]

- **الوصل:**

وهو من أهم الأدوات المساعدة على اتساق النص وتماسكه ويعني «عطف جملة على جملة أخرى بأحد حروف العطف»[5] ولا شك في أن خطب الحجاج متماسكة وكل حرف من هذه الحروف يرد في مكانه المناسب ولو شئنا أن نبرهن فإننا نورد قوله الآتي: «إني أنذر ثم لا أنظر وأحذر ثم لا أعذر وأتوعد

---

[1] ـ جيليان براون وجورج يول، تحليل الخطاب، تر: لطفي الزليطني، منير التريكي، النشر العلمي والمطابع، (دط)، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1418هـ/ 1997م، ص39.

[2] ـ أحمد زكي صفوت، ص 293.

[3] ـ المصدر نفسه، ص 293.

[4] ـ المصدر نفسه، ص296.

[5] ـ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تع: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، ط5، القاهرة، مصر، 2004م، ص222.

ثم لا أعفو»[1] فكان ينبغي أن تكون بهذا الشكل:

("إني أنذر ثم لا أنظر" ، "وإني أحذر ثم لا أعذر" ، "وإني أتوعد ثم لا أعفو") ولكن الحجاج لجأ إلى استعمال الواو والابتعاد عن تكرار "إني" فأسهمت الواو بشكل واضح في تجنب هذا التكرار الذي كان من شأنه الإخلال بهذا التركيب وساعدت في تماسك الجمل وتتابعها مما حقق الاتساق النصي.

وهناك مثال في خطبته بعد وقعة دير الجماجم يقول فيه: «إن الشيطان قد استبطنكم فخالط اللحم والدم والقصب والمسامع والأطراف والأعضاء والشغاف.»[2] فمن المفترض أن التركيب يكون بهذا الشكل إن الشيطان قد استبطنكم فخالط اللحم وخالط الدم وخالط القصب وخالط المسامع وخالط الأطراف وخالط الأعضاء وخالط الشغاف، فالملاحظ أنَّه تم استدعاء حرف الواو للتخلص من تكرار الفعل "خالط" الذي يؤدي حتما إلى الحشو، وهو ربط تجميعي.

أما الربط باللام والفاء فهو عطف سببي ومن أمثلته في خطب الحجاج قوله بعد مقتل ابن الزبير: «لقد وطئكم الحجاج وطأة مشفق، وعطفة رحم، ووصل قرابة، فإياكم أن تزلوا عن سنن أقمناكم عليه، فأقطع عنكم ما وصلته لكم بالصَّارم البتَّار.»[3] فهو يخبر أهل حجاز أنَّه أتى بنية حسنة إليهم فهو ينوي معاملتهم بالعطف والرحمة، ولكنَّه حذرهم من الغدر والخيانة اللذين سيكونان سببا في تغير طباعه معهم.

- **التكرار:**

وهو إحدى الوسائل المستعملة في سبك النَّصوص ويمثل وسيلة تقنية تتطلب الضبط ، أي تترك الأثر اللغوي عند إجادة استعمالها، وهو إعادة أحد عناصر المعجم التي أُعتمدت في النص للتأكيد على الشيء أو لفت الانتباه ومن النماذج التي نستحضرها قوله: «إن الله كفانا مئونة الدنيا وأمرنا بطلب الآخرة فليته كفانا مئونة الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا.»[4] والكلمات المكررة في هذه الجملة هي: (كفانا، مئونة، الدنيا، الآخرة، طلب).

كما نجد التكرار في قوله: «نعم امرؤ حاسب نفسه، امرؤ راقب ربه، امرؤ زوَّر عمله، امرؤ فكر فيما يقرؤه غدا في صحيفته، ويراه في ميزانه، امرؤ كان عند همه آمرا، وعند هواه زاجرا.»[5] نلاحظ تكرار كلمة "امرؤ" خمس مرات ولكنَّه تكرار هادف سعى من خلاله الحجاج إلى أن يكون واعظا ويدعو ويؤكد على الالتزام بنصائحه من خلال هذا التكرار، وبه يتحقق معيار الاتساق بين الجمل.

كما نجد تكرارات لعبارات مثل: "يا أهل العراق" ، "أيها الناس" ، "يا أهل الكوفة" ، "يا أهل

---

[1] ـ أحمد زكي صفوت، ص292.

[2] ـ أحمد زكي صفوت، ص 293.

[3] ـ المصدر نفسه، ص287 ـ 288.

[4] ـ المصدر نفسه، ص296.

[5] ـ المصدر نفسه، ص302.

الشام"، وهي عبارات كانت حاضرة في سائر الخطب وكما نلاحظ أنها كلها بأسلوب النداء واستعملها الخطيب بداعي لفت الانتباه والاستحواذ على تركيز الجمهور المقابل له.

وعليه فإن التكرار في خطب الحجاج سواء كان لكلمات أو لعبارات ساعد على استمرارية الخطاب والمساهمة في الحفاظ على تماسك وحداته.

- **الاستبدال:**

يعرف بأنَّه «عملية تتم داخل النَّص وهو تعويض عنصر في النَّص بعنصر آخر.»[1] ويتم ذلك مثلا بـ «إحلال صفة أو وظيفة أو لقب مكان اسم علم مثل استعمال كلمة الفاروق بدل عمر بن الخطاب أو استعمال اسم علم للتعبير عن فكرة عامة نحو استخدام عبارة "عنترة زمانه" للدلالة على القوة والشجاعة أو للسخرية دلالة على الجبن والضعف»[2] والاستبدال في خطب الحجاج وفير جدا ونجده في أكثر من موضع، نذكر منها:

ـ أخو الحرب، ابن جلا، سوَّاق حطم، الظليم الرامح ⟸ **الحجّاج.**

ـ معدن الشقاق والنقاق، الإبل الشوارد، عبيد العصا، بني اللكيعة ⟸ **أهل العراق.**

ـ الصارم البتار ⟸ **السَّيف.**

ـ عبد هذيل ⟸ **عبد الله بن مسعود.**

ـ الجنّة والرداء، العدّة والحذاء ⟸ **أهل الشام.**

ـ عبد الله، خليفة الله، أمير المؤمنين ⟸ **عبد الملك بن مروان.**

فكل الكلمات المستبدلة أعطت بدائلها تناسقا جميلا داخل الخطب ومنحتها تماسكا بين بعضها البعض.

- **الحذف:**

وهو من علامات الاتساق و«حذف الشيء إسقاطه»[3] وكما عبر عن سعد مصلوح بقوله: «هو تكرار المبنى مع إسقاط بعض عناصر التعبير»[4] ومن أبرز صور الحذف في خطب الحجاج قوله: «...اتخذتموه دليلا تتبعونه وقائدا تطيعونه ومؤامرا تستشيرونه.»[5] حُذف الفعل من الجملتين الثانية والثالثة حيث حمل الفعل اتخذتموه الجمل الثلاث مما حقق تناسقا وتناسبا بينها كما نجد الحذف في قول الحجاج فاختار الله

---

[1] ـ محمد خطابي، لسانيات النَّص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1991م، ص13.

[2] ـ محمد ألتونخي، معجم علوم اللغة العربية، دار الجيل، ط1، بيروت، لبنان، 2003م، ص39.

[3] ـ محمد أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، ط5، بيروت، لبنان، 1999م، ص21.

[4] ـ سعد مصلوح، نحو أجرومية للنَّص الشعري: (دراسة في قصيدة جاهلية)، مجلة فصول، مصر، المجلد10، العدد1، ص159.

[5] ـ أحمد زكي صفوت، ص 293.

ما عنده وألحقه بهم، وعهد إلى شبهه في المروءة والحزم...»[1] حذف الخطيب الفاعل ـ لفظ الجلالة "الله"ـ نظرا لتتابع كلامه وعلم المخاطبين بمقصوده وفهمهم له. وهكذا يكون الحذف إحدى الوسائل التي تساعد المخاطب على جعل نصّه متماسكا ومترابطا.

- **التوازي:**

وهو عنصر آخر له أهميته في صنع الاتساق وفضلا عن وظيفته في تماسك الخطاب فهو يضفي لمسة جمالية من خلال التناغم الذي يحدثه بين الجمل ويطلق عليه الخطيب القزويني مصطلح "الموازنة" ويعرفها بقوله «هي تساوي الفاصلين في الوزن دون التقفية.»[2] ونماذج هذا العنصر في خطب الحجاج وفيرة جدا مثل :

ـ يا أهل العراق / يا أهل الشقاق والنفاق / ومساوئ الأخلاق.

ـ للسلطان سيفا / للشيطان طيفا.

ـ الشوارد الى أوطانها / النوازع إلى أعطانها.

ـ ينفي عنها المدر / يباعد عنها الحجر.

ـ يحميها من الضباب/ يحرسها من الذئاب.

ـ الجنة والرداء /العدة والحذاء كالرسم الدائر / كالأمس الغابر.

ـ يزيل الهام عن مقيله / يذهل الخليل عن خليله.

وساهمت بشكل واضح هذه العبارات وغيرها كثير في الحفاظ على تلاحم البنية الشكلية لنصوص الخطب.

[1] ـ المصدر نفسه، ص298.

[2] ـ الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1997م، ص107.

2. الانسجام (Coherence):

«وهو يتطلب من الإجراءات ما تتنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي واسترجاعه وتشتمل وسائل الالتحام على العناصر المنطقيَّة كالسَّببيَّة والعموم والخصوص، معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف، والسعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية، ويتدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النَّص مع المعرفة السابقة بالعالم.»[1] ونستطيع القول إن معيار الإنسجام أو الحبك يتصل «برصد وسائل الإستمرار الدَّلالي في عالم النَّص، أي أن هذه الصفة متصلة بالمعنى وسلسلة المفاهيم والعلاقة الرابطة بينها.»[2] فهو معيار يكشف عن مدى ضبط المعنى النصي.

- **الوصف:**

وهو نقل للأحداث والوقائع بأمانة وصدق، وقد كان الحجاج مصورا بارعا يصف ما حوله بدقة متناهية فيصف أهل العراق بقوله: «يأهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق، ومساوئ الأخلاق، وبني اللكيعة، وعبيد العصا، وأولاد الإماء، والفقع بالقرقر.»[3] وكذلك قوله: «...حيث رمتم المكر، وسعيتم بالغدر، واستجمعتم للكفر.»[4] فهو يصف العراقيين بإمعان ولا يوجد أوضح من هذا الوصف لقوم استبدت بهم الفتن وشاع بينهم الغدر وأصبحوا يتعاملون بين بعضهم بالمكر.

والحجاج عند وصفه لنفسه بقوله:[5]

هذا أوان الشد فاشتدي زيم قد لفها الليل بسواق حطم

ليس براعي إبل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم

قد لفها الليل بعصبلي أروع خـراج من الـدوي

مهاجر ليس بأعرابي

فالحجاج يصور نفسه في وضعية تعذيبه لأهل العراق فشبه نفسه بسائقهم الذي يحطم أعضائهم ويهشمها دون رحمة ولا شفقة، وهذه رسالة لهم بأن لا ينتظروا منه الرأفة ولا الطيبة فمعاملته معهم سوف تكسوها القسوة ويسيرها العنف الشديد.

- **السرد:**

فالسرد يتيح للكاتب أن يجعل القارئ متعلقا بحكاية ما والكاتب يحتاج إلى عاطفة وثقافة تربطه بالمسرود

---

[1] – روبرت دي بوجراند، ص103.

[2] – أحمد عفيفي، نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي)، مكتبة زهراء الشرق، ط1، ، القاهرة، مصر، 2001م، ص90.

[3] ـ أحمد زكي صفوت، ص290.

[4] ـ المصدر نفسه، ص293.

[5] ـ المصدر نفسه، ص293.

كما يتطلب النص الذي فيه سرد وجود الشخصيات والزمن والحيز واللغة ونجد الكثير من النماذج السردية في خطب الحجاج منها قوله: «كأني والله بكل حي منكم ميتا وبكل رطب يابسا ونُقل في ثيا أكفانه إلى ثلاثة أذرع طولا، في ذراع عرضا وأكلت الأرض لحمه، ومصَّت صديده، وانصرف الحبيب من ولده يقسم الخبيث من ماله إن الذين يعقلون يعلمون ما أقول.»[1] فنلاحظ إبداعا من الحجاج في سرد الوضع الذي سيصبح عليه الإنسان عند الفناء .وإن دراستنا للبنى السردية في خطب الحجاج هدفت أساسا لعرض كيفية الترابط الداخلي وتلاحم الجمل في ما بينها وتسلسلها مما ينتج عنه الربط الدلالي أو الانسجام في نصوص الخطب ولا يظهر ذلك إلا من خلال توالي الجمل وتلاحقها

3. الموقفيَّة (Situationality):

أو ما يسمى بالمقاميَّة وهي أن يكون النَّص مفيدا في مقام معين بغرض كشفه، أو تغييره وقد يكون النَّص مباشرًا يمكن إدراكه بسهولة، أو غير مباشر يمكن استنتاجه وهي متعلقة بالسِّياق الثَّقافي والإجتماعي للنَّص أي أن المقام يتحكم في دلالات النَّص.

ومن أمثلتها التي نلاحظ فيها احترام الحجاج المقام وجعل مقاله مناسبا له قوله: «أيها الناس إن الله تعالى نعى نبيه صلى الله عليه وسلم إلى نفسه فقال: «إنك ميت وإنهم ميتون» وقال:«ما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومات الخلفاء الراشدون المهتدون المهديون، منهم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان الشهيد المظلوم، ثم معاوية، ثم وليكم البازل الذي جربته الأمور وأحكمته التجارب، مع الفقه وقراءة القرآن، والمروءة الظاهرة واللين لأهل الحق، الوطء لأهل الزيغ، فكان رابعا من الولاة المهديين الراشدين، فاختار الله ما عنده وألحقه بهم.»[2] فهو احترم حزن أهالي العراق عند موت خليفتهم ولم يعاملهم بالقسوة التي اعتادوها منه، فتصرف معهم بلين وطيبة احتراما لحالتهم النَّفسيّة المنكسرة فهو تحدث إليهم معبرا لهم عن مواساته لهم.

فما عرف عن الحجاج أن معظم خطبه كانت مليئة بأساليب التهديد والوعيد ولكن عندما تطلب الأمر اللين تصرف به.

[1] ـ المصدر نفسه، ص300.

[2] ـ المصدر نفسه، ص298.

4. التَّناص (Intertextuality):

تدور تعريفات التناص على أنَّه «ترحال للنُّصوص وتداخل نصي، ففي فضاء نَّصٍّ معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوصٍ أخرى.»[1] وذلك أنَّ النُّصوص اللاحقة تكون متعالقة بنصوصٍ سابقة لها وتتفاعل معها وتنتقي منها فتنشأ بينهما علاقة تداخل وتطابق.

قد كان الحجاج على سعة كبيرة من الإطلاع فوظف ما بحوزته في خطبه بانتظام فتارة نجدها تتفاعل مع آيات القرآن الكريم وتارة مع الحديث النبوي الشريف وأحيانا أخرى مع أبيات من الشعر ويظهر تفاعل نصوص الحجاج مع آي القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف خصوصا في خطبه الوعظية.

ونلمس هذا في قوله: «....أين الملوك الأولون أين الجبابرة المتكبرون؟ المحاسب الله، والصراط منصوب، وجهنم تزفر وتتوقَّد، وأهل الجنة ينعمون، في روضة يحبرون»[2] وهو قول يتناص من قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ﴾ (سورة الروم ــ الآية 15)

كذلك قوله: «جعلنا الله وإياكم من الذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا»[3] وفيه تناص مع قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ٧٣﴾ (سورة الفرقان ـ الآية 73) .

أما تناص الخطب مع الحديث النبوي فتجده في قوله: «... النار بين أيديكم، والجنة أمامكم، خذوا من أنفسكم لأنفسكم، ومن غناكم لفقركم، ومما في أيديكم لما بين بين أيديكم.»[4] فهو تناص مع قوله صلى الله عليه وسلم «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك.»[5] .

كذلك نجده يتناص مع أبيات من الشعر في قوله: «أيها الناس اقذعوا هذه الأنفس، فإنها أسأل شيئا إذا أُعطيت وأعصى شيء إذا سُئلت.»[6] فهو يتناص مع البيت الشعري لأبي ذؤيب الهذلي الذي يقول فيه:

والنّفس راغبة إذا رغبتها وإذا تُرَدُّ إلى قليل تقنع[7]

وهذه نصوص يستحضرها الحجاج جلب بها أزمنة أخرى لخطبه، تعالق تصبح خطبه صالحة لكل

---

[1] – جوليا كريستيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1997م، ص21.

[2] ـ أحمد زكي صفوت، ص301.

[3] ـ المصدر نفسه، ص301

[4] ـ المصدر نفسه، ص301.

[5] ـ محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 1417هـ/ 1997م ج4، ص447، (الحديث رقم: 7927).

[6] ـ أحمد زكي صفوت، ص303.

[7] ـ ديوان الهذليين، الدار القومية للطباعة والنشر، (دط)، القاهرة، مصر، 1965م، ج1، ص03.

الأوقات.

5. الإعلاميَّة (Informative):

أو ما يُسمى بالإخبارية، أي أنَّه «لابد أن يحمل النَّص دلالات يريد المبدع إيصالها للمتلقي عن طريق النَّص اللُّغوي، إذ لو جاء النَّص فارغ المحتوى من الدلالة، فليس نصًّا، ولا علاقة لنحو النَّص به. بل لابد لهذه الدلالات أيضًا من الترابط والانسجام. إن الإعلامية ترتبط بإنتاج النَّص واستقباله لدى المتلقي ومدى توقعه لعناصره.»[1] أي أنَّ النُّصوص التي تدخل ضمن اهتمامات نحو النَّص هي النُّصوص ذات الدلالات المنسجمة والمترابطة فيما بينها، والنُّصوص الخالية دلاليًا هي نصوصٌ مفرغةٌ بل لا تُعتبر نصوصًا أصلًا وهذه الدلالات هي قضايا يريد المبدع إيصالها للمتلقي.

وأوضح الأمثلة التي يمكن أن نسوقها للإعلامية من خطب الحجاج عند قوله في أهل الكوفة مباشرة عند مجيئه لأول مرة «أمَّا والله إني لأحمل الشر بحمله وأجزيه بمثله وإني لأرى أبصارا طامحة وأعناقا متطاولة ورؤوسا قد أينعت وحان قطافها وإنِّي لصاحبها، وكأني أنظر إلى الدِّماء بين اللِّحى والعمائم تترقرق»[2] فمن المفترض تحقق الصدمة النفسية التي كان الحجاج يريد حصولها، فالمتلقون لم يتوقعوا أن يخاطبهم الحجاج بتلك الطريقة وتلك الشدة في أول خطبة له فيهم، وهذا ما يبرز كفاءة الخطيب فهو يدرك جيدا أنه للتحكم في زمام الأمور من أول يوم لابد من الخروج عن المتوقع فإنه «كلما كان في النص ابتعاد عن التوقع وكثرة المعتاد والمألوف، زادت الكفاءة الإعلامية.»[3] وأما في قوله: «إن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم.»[4] فأتت الإعلامية لغرض الدعاية والإخبار.

وقوله: «إن أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ نثر كنانته بين يديه، فعجم عيدانها، فوجدها عودًا، وأصلبها مكسرا فرماكم بي»[5] فهو هنا يعلم أهل العراق بأن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قد اختار الحجاج واليا على العراق.

وكذلك إخبارهم أنه قد عزم على الحج واستخلف في منصبه ابنه محمد وذلك يتضح في قوله: «يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق إني أريد الحج وقد استخلفت عليكم ابني محمد وهذا وما كنتم له بأهل وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأنصار أن رسول الله أوصى أن يُقبل من محسنهم وأن يُتجاوز عن مسيئهم وإني أمرته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن

---

[1] ـ أحمد عفيفي، نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي)، ص86.

[2] ـ أحمد زكي صفوت، ص289.

[3] ـ عزّة شبل محمد، علم لغة النَّص، تقديم: سليمان العطَّار، مكتبة الآداب، ط2، القاهرة، مصر، 2009م، ص68.

[4] ـ أحمد زكي صفوت، ص291.

[5] ـ المصدر نفسه، ص290.

مسيئكم.»[1]

وعند إعلامه لأهل الشام أن لهم مكانة رفيعة في نفسه وهي عند قوله: «يأهل الشام إنما أنا لكم كالظليم الرامح عن فراخه ينفى عنها المدر، ويباعد عنها الحجر، ويكنُّها من المطر، ويحميها من الضباب، ويحرسها من الذئاب، يأهل الشام أنتم الجنة والرداء وأنتم العدة والحذاء.»[2] فهو دائما يستثنيهم من خطاب التهديد والوعيد.

كل نص يحتوي معاني ودلالات يريد المرسل إيصالها للمتلقين، والحجاج دائما ينجح في ذلك.

6. القصدية (Intentionality)

إنَّ النَّص عبارةٌ عن جمل ومتتاليات مترابطة وتحوي داخلها أهداف ومقاصد الكاتب أو المتكلم وقد تكون مباشرةً وصريحةً كما قد تكون موحيةً وضمنية. وإنَّ «إنتاج النَّص لا يكون اعتباطيًا وعشوائيًا، بل يرتبط بخطة وهدف يراد تحقيقه منه.»[3] وينبغي أن يكون هناك قصدٌ من الكلام، فالإنسان لا يتكلم إلا وهو قاصدٌ، كما ينبغي أن يعترف المتلقي بفهمه لقصد المتكلم، عندئذ نستطيع الجزم بأنَّ النَّص قد أدى وظيفته.

ومن الأمثلة التي ندرجها لإيضاح بعض مقاصد الحجاج قوله: «أمَّا والله إني لأحمل الشر بحمله وأجزيه بمثله وإني لأرى أبصارا طامحة وأعناقا متطاولة ورؤوسا قد أينعت وحان قطافها وإنِّي لصاحبها، وكأني أنظر إلى الدِّماء بين اللحى والعمائم تترقرق»[4] فاعتماده على الواو كأداة ربط يحقق قصديته في التتابع بين العمل والجزاء في المثال السابق كما يوضح سرعه التنفيذ دون تريث أو تمهل ويوضح الحجاج هذا المقصد في قوله: «إني أنذر ثم لا أنظر وأحذر ثم لا أعذر وأتوعد ثم لا أعفو»[5] والتقدير بحسب سياق الحال أن دلالة التهديد قطعية لا ظنية حيث أن الخطاب موجه الى فئة معينة حاضرة أمامه مقصوده بالتهديد والوعيد وتقدير القول هو (أنذركم، أنظركم، أحذركم، أعذركم، أتوعدكم، أعفو عنكم) فحذف المفعول به لدلاله السياق عليه واحتوت خطبه على القصدية الموجهة وهي عبارة عن رسائل التي يضمنها المتكلم عبارات وتراكيب خاصة لمتلقين دون سواهم ومن ذلك قوله في عديد المناسبات وهنا تجدر الإشارة إلى أن «القصد جزء من دلالة النص وليس جزءًا من دلالة الكلمة ولذا فإن أي نص يخلو من القصد لا يرقى إلى مرتبة الخطاب ومن ثم لا يقوى أن يحافظ على انسجامه

[1] ـ المصدر نفسه، ص298 – 299.

[2] ـ أحمد زكي صفوت، ص294 – 295.

[3] – خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، 2009م، ص89.

[4] ـ أحمد زكي صفوت، ص289.

[5] ـ المصدر نفسه، ص292.

الداخلي، وسيفقد من ثم توجهه الإيصالي.»[1] ولاحظنا في أكثر من موضع من خطبه أنه سعى لتعزيز المقاصد التهديدية واهتم بتحقيق مقاصده أكثر من اهتمامه بملاقاة القبول والترحيب من المتلقين.

7. المقبولية (Acceptability):

أو الاستحسان كما يحلو للبعض تسميتها هي إحدى المعايير السبعة التي وضعها دي بوجراند فلا يحق لنا أن نبدأ إلا بتعريفه لها وفيه يرى أنها تتضمن «موقف مستقبل النَّص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبكٍ وإلتحام.»[2] كما نجده أيضا يقول: «إنها تعني طبيعة استقبال المتلقي للنَّص بعدِّه متماسكا منسجما ذا نفعٍ للمستقبل، أو ذا صلة ما به.»[3] ومن ثم نجد أن النَّص المقبول عند دي بوجراند هو ذلك النَّصُ المتلاحم الأجزاء والذي حُبك حبكاً تاماً وسُبك سبكاَ واحدا.

ولكن هل نستطيع الجزم أن خطابات الحجاج كانت مستساغة ومقبولة عند السامعين؟ فهو نفسه في إحدى خطبه قال: «وما أراكم إلا كارهين لمقالتي، وأنا لرؤيتكم أكره.»[4] وهذا دليل على أن السامعين أتوا مجبرين لسماع تلك الخطبة، ولم يجبرهم سوى خوفهم من بطش الحجاج، والحجاج كان مدركا لذلك جيدا، ويعرف أن أهل العراق لا يتحملون رؤيته ولا يطيقون وجوده، ويظهر هذا في قوله: :«أما والله إن أبغضتموني لا تضروني وإن أحببتموني لا تضروني وما أنا بالمستوحش لعداوتكم، ولا المستريح إلى مودتكم.»[5]، وقد كان الأهالي في بداية حكم الحجاج متمردين وذوي شخصيات عادئة ومستهزئة، لكنَّهم في الخطب اللاحقة أدركوا مدى قسوة وجفاء الحاكم فتحول ذلك إلى خوف ورهبة واضطراب.

---

[1] ـ منذر عياشي، اللسانيات والدلالة (الكلمة)، مركز الانماء الحضاري، ط1، حلب، سوريا، 1996م، ص66ـ67.

[2] - روبرت دي بوجراند، النَّص والخطاب والإجراء، ص104.

[3] – إلهام أبو غزالة، علي خليل، مدخل إلى علم لغة النَّص (تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند، ولفغانغ دريسلر)، مطبعة دار الكاتب، ط1، نابلس، فلسطين، 1992م، ص132.

[4] ـ أحمد زكي صفوت، ص297.

[5] ـ المصدر نفسه، ص295.

المطلب الثاني: النَّص باعتباره فعلا كلاميا في خطب الحجاج:

إن النص يؤدي غرضا وكل مكوناته تتلاحم من أجل أداء هذا الغرض، وبداخله أفعال كلامية مصغرة تسعى للمقصد الأكبر، أي أن النَّص يقوم على أفعال كلامية جزئية وأفعال كلامية بسيطة، ويؤكد "فان دايك" Van dijk أن النص عبارة عن «متوالية من أفعال الكلام، مثلما يحلل على أنَّه متوالية من الجمل وأنه يمكن إدخال أبنية أخرى تداولية لأفعال الكلام كما أدخلت أبنية كبرى لمضمون النَّص؛ بل يمكن إلى النَّص عنده على أنَّه "فعل كلامي إجمالي" أو "فعل لغوي كبير" من أفعال الكلام.»[1] وأي نص يأتي ليحقق غرضا إنجازيا معينا لابد من توفر الترابط والاتساق بين أجزائه، إن العلاقات بين هذه الأجزاء القولية ليست علاقات نصية دلالية فحسب وإنما هي علاقات تتجاوز هذا لتصبح علاقات تداولية تحتكم لمعطيات السياق.

ونلفي التداولية النصية حددت الشروط التي لابد للفعل الكلامي النصي الخضوع إليها والكيفية التي تتآلف بها أفعال الكلام داخل النَّص فهذه الشروط ليست مقصورة على خواص محيط الأفعال؛ كالتأثير غلى الأشياء، ولا على المقاصد والأغراض، وإنّما على الخواص الأولى الأشياء والمحيط، وعلى قدرات الفاعل واستعداداته.

وإنّ العلاقات التي تتحكم في متتالية من الأفعال الكلامية هي "علاقة تفسير وتعليل"، فكل فعل يعطي الصلاحية للفعل اللاحق له لتفسيره وتعليله ضمن متواليات أفعال كلامية كليَّة، مما يحقق النجاح الكامل للفعل الكلامي النَّصي.[2] فالبحوث النصية المعتمدة على نظرية الأفعال الكلامية تنطلق من التوجه النصي التداولي الذي ينظر ككل باعتباره أداة إنجازية كبرى «ويقوم الاهتمام بالبحث النصي المتأثر بنظرية الحدث على تساؤلين : على كشف المبادئ التي تربط على أساسها ... الأحداث الجزئية، لتكون أبنية الحدث المركبة في النصوص من جهة، وعلى تعريف السياق في أبنية الحدث في النصوص مع أبنيتها اللغوية المناسبة.»[3] إذن فهذا الاتجاه التداولي يحتكم إلى مبدأين لفهم النص، فهو يراعي أولا الضوابط اللغوية والكلامية المحددة المتعارف عليها بين المشاركين في الحدث الكلامي. وثانيا تنزيل هذا الأحداث الكلامية في سياقاتها والإحاطة بمجرياتها لتحقيق فهم أعمق لها.

ونحن سوف نرى كيف يتشكل الفعل الكلامي النَّصي في إحدى خطبه، انطلاقا من المعايير النَّصية التي

---

[1] ـ عبد الحليم بن عيسى، محاضرة بعنوان: " الفعل الكلامي النَّصي" نماذج تطبيقية من قصيدة وتعطلت لغة الكلام لمفدي زكريا، ص02. https://elearn.univ-oran1.dz/enrol/index.php?id=6436 ، تاريخ الزيارة: 2022/05/23، على الساعة: 15:45.

[2] ـ المرجع نفسه، ص04.

[3] ـ فولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللُّغة النَّصي، ترجمة: فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، (دط)، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1998م، ص65.

تسهم بجزء كبير في ذلك وقد وقع اختيارنا على خطبته حين ولي العراق والتي يقول فيها:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

ثم قال يأهل الكوفة أما والله إني لأحمل الشر بحمله وأحذوه بنعله وأجزيه بمثله وإني لأري أبصارا طامحة وأعناقا متطاولة ورءوسا قد أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى تترقرق ثم قال:

هذا أوان الشد فاشتدي زيم قد لفها الليل بسواق حطم
ليس براعي إبل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم
قد لفها الليل بعصلبي أروع خراج من الدوي
مهاجر ليس بأعرابي
قد شمرت عن ساقها فشدوا وجدَّت الحرب بكم فجدوا
وليس القوس فيها وتر عرد مثل ذراع البكر أو أشد
لا بد مما ليس منه بد

إني والله يأهل العراق ومعدن الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق، ما يقعقع لي بالشنان ولا يغمز جانبي كتغماز التين، ولقد فرزت عن ذكاء وفتشت عن تجربة وجريت إلى الغاية القصوى. وإن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها فوجدني أمرها عودا وأصلبها مكسرا فرماكم بي لأنكم طالما أوضعتم في الفتن واضطجعتم في مراقد الضلال وسننتم سنن الغي أما والله لألحونكم لحو العصا ولأقرعنكم قرع المروءة ولأعصبنكم عصب السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وإني والله لا أعد إلا وفيت ولا أهم إلا أمضيت ولا أخلق إلا فريت فإياي وهذه الشفعاء والزرافات والجماعات وقالا وقيلا وما تقول وفيم أنتم وذاك

أما والله لتستقيمن على طريق الحق أو لأدعن لكل رجل منكم شغلا في جسده وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة وإني أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا سفكت دمه وأنهبت ماله وهدمت منزله.[1]

المعايير النصية في الخطبة:

- **الاتساق:**

لاشك في أن خطب الحجاج تتسم بالترابط والتلاحم الداخلي ين أجزائها وسنتبين هذا من خلال خطبته حين ولي العراق:

الإحالات:

[1] ـ أحمد زكي صفوت، ص

نجدها في قوله: «طالما أوضعتم في الفتن واضطجعتم في مراقد الضلال وسننتم سنن الغي.»[1] حيث يتعلق تأويل المبهمات في الأفعال الآتية: (أوضعتم، اضطجعتم، سننتم) بمرجع معين سابق ذكره وهو "أهل العراق".

الوصل: وأمثلته عديدة في الخطبة منها قوله: «ولقد فرزت عن ذكاء وفتشت عن تجربة وجريت إلى الغاية القصوى.»[2]، فتم ربط الجمل {(فرزت عن ذكاء)، (فتشت عن ذكاء)، (جريت إلى الغاية القصوى)} بأداة الربط "الواو" مما نجم عنه ترابطا بين الجمل.

الحذف: نجدها في قوله «أما والله إني لأحمل الشر بحمله، وأحذوه بنعله، وأجزيه بمثله.»[3] فالمفعول به "الشر" ذكر في الجملة الأولى ذكرا صريحا ولكنه حذف في الجملتين التاليتين وعوّض بالضمير المتصل "الهاء".

الاستبدال: ومن الأمثلة عنه في الخطبة:

ابن جلا ⟵ الحجاج.

أمير المؤمنين ⟵ عبد الملك بن مروان.

أهل الشقاق ⟵ أهل العراق.

التوازي: ومن أمثلته:

ـ يا أهل العراق ومعدن الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق.

ـ طالما أوضعتم في الفتن واضطجعتم في مراقد الضلال وسننتم سنن الغي.

ـ والله لألحونكم لحو العصا ولأقرعنكم قرع المروءة ولأعصبنكم عصب السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل.

ـ والله إني لأحمل الشر بحمله وأحذوه بنعله وأجزيه بمثله.

وكل هذه وسائل كان لها دورها في الترابط اللفظي بين الجمل وبالتالي ترابط واتساق نص الخطبة.

- **الانسجام:**

وقد استطاع الربط بين قضايا مختلفة في الخطبة منها قوله: «لقد فرزت عن ذكاء وفتشت عن تجربة وجريت إلى الغاية القصوى. وإن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها فوجدني أمرها عودا وأصلبها مكسرا فرماكم بي؛ لأنكم طالما أوضعتم في الفتن واضطجعتم في مراقد الضلال وسننتم سنن الغي أما والله لألحونكم لحو العصا ولأقرعنكم قرع المروءة ولأعصبنكم عصب السلمة

[1] ـ المصدر نفسه، ص290.

[2] ـ المصدر نفسه، ص290.

[3] ـ المصدر نفسه، ص290.

ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل.»[1]

لقد فرزت عن ذكاء و فتشت عن تجربة و جريت إلى الغاية القصوى.

قضية (1) قضية (2) قضية (3)

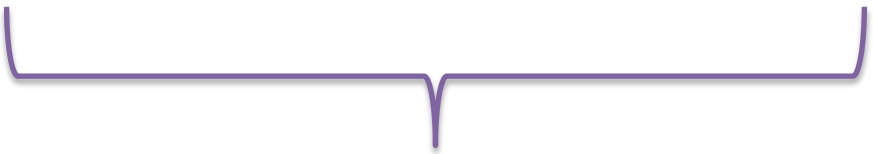

الموضوع: وهو يبين لهم خبرته وذكاءه

أما والله لألحونكم لحو العصا ولأقرعنكم قرع المروءة ولأعصبنكم عصب السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل.

قضية (1) قضية (2) قضية (3) قضية (4)

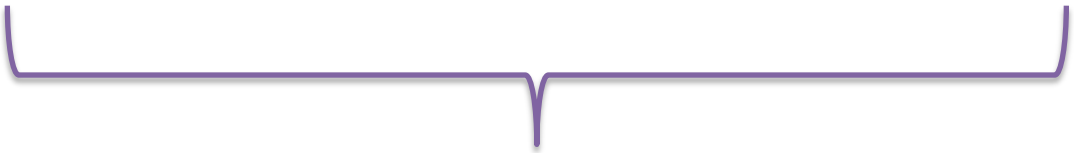

الموضوع: هو إخبارهم بالعقاب الذي ينتظرهم جزاءً لتمردهم وعصيانهم.

وهذا ربط للقضايا وبالتالي ربط لمواضيعها مما يسهم في خدمة الغاية التي أنتج من أجلها النَّص وهو التهديد والوعيد الموجه لأهل العراق مقابل معارضتهم للحكام والقادة، ولقصد توضيح التعليمات التي يتوجب عليهم اتباعها مستقبلا.

الموقفية:

وهي خطبة أداها بعد توليه الحكم في أهل العراق فبعد نجاحه في إخماد الفتنة في الحجاز استدعاه أمير المؤمنين إلى الكوفة وولاه أمرها حيث رسم له «الخطة التي يجب أن يسير عليها، وبين له السياسة التي سار عليها في الحجاز لا تصلح للعراق وأنه ينبغي له أن يصل إلى الهدف الذي يريده وهو إعادة النظام وخلق روح الطاعة في نفوس المحاربين أهل الكوفة والبصرة.»[2] فأهل العراق قد تجاوز الحد من التمرد والعصيان حتى جعلوا الحكام يفكرون بأسوإ الطرق لتهدئتهم والسيطرة عليهم.

التناص:

نجده في قوله: «فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون»[3] فهو يتناص مع قوله تعالى ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً

[1] ـ المصدر نفسه، ص290.

[2] ـ محمود زيادة، الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، ص82.

[3] ـ أحمد زكي صفوت، ص290.

كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ (سورة النحل الآية 112).

فالحجاج كان من حفظة القرآن وهو من أعرفهم به فحتى عندما يتناص معه فإنه يمثل بالصور القرآنية الأقرب إلى الوضعية التي أمامه.

الإعلامية:

تضمنت الخطبة مجموعة من الأمور التي كان الحجاج يريد أن يخبر بها رعيته ومنها:

ـ أبان لهم عن شخصيته القوية وهم في أوج الصدمة من وفوده عليهم ومستغربون من قدومه إليهم وأخبرهم أنه لا يهاب أحدا منهم ولا يثنيه شيء عن البلوغ إلى مقاصده وينال كل شيء يريده.

ـ أخبرهم أنَّه يعرف طباعهم وأنهم يعيشون بالنفاق ويتنفسون الفتنة وأنه جاء ليوقف ذلك.

ـ شرح لهم خطورة الوضع وأنهم مجبرون على الجهاد، كما حثَّهم على الجد والاجتهاد في الحرب، وأنَّه سوف ينتهج معهم سياسة السرعة والشدة لأنهم لا يتحركون إلا بذلك، وأنهم ليسوا بأهل للين.

القصدية:

ـ كان مقصد الحجاج أن يبين لأهل العراق كيف ستكون سيرته معهم وكيفية التعامل معهم، وبيَّن الحكمة من هذه الشدة وأنها لولا طبعه هذا لما جيء به إلى هنا.

كما أنَّه جاء ليعطيهم أعطياتهم ويوجههم لمحاربة العدو وأنه من تخلف عن أخذ عطائه بثلاثة أيام سيسفك دمه وسينهب ماله وسيهدم منزله، وهذا عقاب قد سبق بها الحجاج العصر الحديث حيث جعل جزاء الفار من ميدان الإعدام. وهي وسائل بدت جديدة وغريبة في نظر أهل العراق[1]

المقبولية:

بالهيئة التي دخل بها وطريقة العرض التي قام الحجاج استطاع إثارة الفضول في أنفسهم فقد اتجه نحو نوع من التأثير النفسي جذب به إليه انتباه السامعين وأصاخوا السمع لصوته الجهوري ونبرته المرتفعة، كما أعطاهم ذلك الوقت الذي بين وقوفه على المنبر وحسره اللثام ثم ابتدائه الخطبة ليظهروا ذلك الاستخفاف به ثم حسر اللثام وتكلم فملأ الأسماع دويا والقلوب رعبا.

فقد كان السامعون في استهانة للمتكلم واحتقار له، فأصبحوا في اضطراب وخوف.

وكل هذه المعايير كان لها دورها في في إيصال الفعل الكلامي بالغرض الإنجازي الذي يريد المتكلم إبلاغه للمتلقين، وإن هذا هو ديدن كل خطب الحجاج في كل مرة.

[1] ـ محمود زيادة، المرجع السابق، ص88.

خاتمة

بعد الخوض في غمار هذه الدراسة التي هدفت لاستخراج أفعال الكلام من خطب الحجاج بن يوسف الثقفي كان لابد أن نختتمها بمجموعة من النتائج هي كالتالي:

- ✓ التَّداوليَّة علم يدرس اللغة خلال الاستعمال؛ أي أنّه يسعى للكشف عن العلاقة التي بين العلامات اللُّغوية ومفسريها.
- ✓ التَّداوليَّة علمٌ مترامي الأطراف، وتتقاذفه علوم عديدة ومجالات مختلفة مثل: اللسانيات، الفلسفة التحليلية، علم النفس المعرفي، علوم الاتصال...
- ✓ تعد قضية الأفعال الكلامية الأكثر شيوعا بين قضايا التداولية، وقد اكتسبت مكانة مرموقة عند الدارسين؛ لكونها تدرس العملية التواصلية بشكل تام بالإحاطة بكافة الأطراف فيها، فاهتمت بالمرسل والمرسل إليه والرسالة والمقام الذي احتضن الحدث الكلامي، واعتنت عناية خاصة بمقاصد المتكلمين.
- ✓ حسب آراء بعض الدارسين فإنّ للفعل الكلامي الكامل عناصر هي: فعل الكلام أو (فعل القول)، وقوة فعل الكلام أو (الفعل المتضمن في القول)، ولازم فعل الكلام أو (الفعل النّاتج عن القول).
- ✓ اختلفت تقسيمات الأفعال الكلامية بين الدارسين، فـ "جون أوستين" J. Austin قد قسَّمها إلى خمسة أنواع وهي: الحكميات (أفعال الأحكام)، الإنفاذيات، الوعديات (أفعال التَّعهد)، السلوكيات، العرضيات. أما جون سيرل J. Searl فأعطى لها تقسيما آخر كان كما يلي: الإخباريات، الوعديات، التوجيهيات، التعبيريات، التصريحيات.
- ✓ أغلب خطب الحجاج بن يوسف الثقفي كانت خطبا سياسية لكونه واليا على أهل العراق فاجتمع بهم في عدة مناسبات لتوضيح مسار حكمه، كما احتوت خطبه أفعال الكلام بأنواعها الخمسة حسب تصنيف سيرل ودون استثناء، وكانت الغلبة فيها لـ الوعديات، والإخباريات، والتوجيهيات.
- ✓ رغم قصر خطب الحجاج إلا أن الأساليب البلاغية منحتها رونقا خاصا، حيث دعّم الخطيب نصوصه بالتشبيهات والاستعارات والصور البيانية التي من شأنها أن تأسر المتلقي وتجعله يتأمل فيها، كما أنَّه دفع عن خطبه الإطناب واستعان بالإيجاز كي لا يثقل على السامعين ولا يشعرهم بالملل.
- ✓ إن للمعايير الدور الكامل في تشكيل أي نص يحمل مقاصد، وإن أي منتج نصي لابد أن ينطوي على أفعال كلامية ولا تكتيب هذه الأفعال فعاليتها الإنجازية إلا بتضافر كافة المعايير النَّصية.

- ✓ خطب الحجاج احتوت على كل المقومات النصية التي تؤهلها لأن تصبح أفعالا كلامية نصيه لها تأثيرها الخاص.

وبهذا نقول أن دراسة خطب الحجاج أحد عظماء خطباء العرب، وأحد الذين بقى التاريخ شاهدا على بلاغتهم تحتاج لتضافر الجهود وعمق الدراسات، وإنّنا وباستحياء نقول أنه لو أسعفنا الوقت لدرسنا مزيدا من المظاهر التداولية لما تحمله هذه الخطب من ثراءٍ لغوي يستحق الدِّراسة والتَّمحيص. ولعل ما حاولنا ملامسته في ورقات بحثنا لا يُعدُّ نهاية للبحث بل مقدمة ممهدة لمزيد من الانشغال المعرفي حول نصوص الحجاج بن يوسف الثقفي سواء كانت شعرا أو خطبا أو محادثات والتي مهما ادّعينا الاقتراب منها تبقى دراستنا لا حاسمة ولا نهائية لأنَّ ذلك يحتاج إلى مقاربة دائمة وبحث مستمر لكي يتبوأ مكانته ولتمتلأ ثغرات هذا البحث. ومهما فعلنا فلن ترتقي دراستنا إلى درجة الكمال؛ لأن الكمال في صفات الله سبحانه وتعالى، فإن أخطأنا فمن هفوات أنفسنا وإن أصبنا فمن توفيقه عزَّ وجلَّ، ويبقى عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد خير الأنام وخاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

المصادر والمراجع

* ـ القرآن برواية حفص عن عاصم.

أ. المصادر والمراجع العربية:

1. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة (في المعاني والبيان والبديع)، مؤسسة هنداوي سي آي سي، ط1، 2019م.
2. أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب (في عصور العربية الزاهرة)، المكتبة العلمية، ط1، بيروت، لبنان، (دت)، ج1، ج2.
3. أحمد عفيفي، نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي)، مكتبة زهراء الشرق، ط1، القاهرة، مصر، 2001م.
4. أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، لبنان، 1993م.
5. الأزهر الزنَّاد، نسيج النَّص، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1993م.
6. إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، البداية والنهاية، دار أبي حيان، ط1، القاهرة، مصر، 1996م، ج9.
7. إلهام أبو غزالة، علي خليل، مدخل إلى علم لغة النَّص (تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند، ولفغانغ دريسلر)، مطبعة دار الكاتب، ط1، نابلس، فلسطين، 1992م.
8. أمين أبو ليل، علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار البركة، ط1، عمان، الأردن، 2006م.
9. إيليا حاوي، فن الخطابة وتطوره عند العرب، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1997م.
10. بدر الدين محمد الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، مصر، 2006م/ 1427هـ.
11. تمام حسان، البيان في روائع القرآن (دراسة لغوية وأسلوبية للنَّص القرآني)، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط2، 2002م، ص173.
12. جمال الدين ابن نباتة المصري، سرح العيون في رسالة ابن زيدون، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، 1964م.
13. جميل حمداوي، التَّداوليَّات بين النَّظريّة والتَّطبيق، دار الريف للطبع والنشر الالكتروني، تطوان، المملكة المغربية، ط1، 2019م.

14. جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، 2016م.
15. الحسن أبو هلال العسكري، الفروق اللُّغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، ط1، القاهرة، مصر، (دت).
16. الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، مطبعة العادة، ط1، القاهرة، مصر، 1383هـ/ 1963م، ج1.
17. حسن خميس الملخ، التَّداوليَّة (ظلال المفهوم وآفاقه)، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2015م.
18. الحسين أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (دط).
19. حنَّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل، ط2، بيروت، لبنان، 1968م.
20. الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1997م.
21. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية (مع محاولة تأصيلة في الدرس العربي القديم)، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، ط1، 2009م.
22. الخليل بن أحمد الفراهيدي،كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ 2002م، ج2.
23. خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، 2009م.
24. ديوان الهذليين، الدار القومية للطباعة والنشر، (دط)، القاهرة، مصر، 1965م، ج1.
25. رزيق بوزغاية، التَّداوليَّات، نوران للنشر والتوزيع، تبسة، الجزائر، ط1، 2020م.
26. سعيد حسن بحيري، علم لغة النَّص، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان–، ط1، القاهرة، مصر، 1997م.
27. سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبيَّة المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، لبنان، 1985م.
28. الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، (دط)، بيروت، لبنان، 1416هـ/ 1995م.
29. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، (دط)، 1992م.
30. طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصريين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، ط1، 1994م.

31. طه عبد الرّحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط2، 1996م.

32. عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، الأمالي، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، ط2، بيروت، لبنان،1987م.

33. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1409هـ/ 1988م.

34. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تع: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، ط5، القاهرة، مصر، 2004م.

35. عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تح: ثروت عكاشة، دار المعارف، مصر، (دت)،

36. عبد الله صولة، في نظرية الحجاج (دراسات وتطبيقات)، مسكيلياني للنشر، تونس، ط1، 2011م.

37. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.

38. عبد الواحد ذنون، العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، الدار العربية للموسوعات، ط2، بيروت، لبنان، 2005م.

39. عثمان أبو الفتح بن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، (دط)، (دت).

40. عزّة شبل محمد، علم لغة النَّص، تقديم: سليمان العطَّار، مكتبة الآداب، ط2، القاهرة، مصر، 2009م.

41. علي فراجي، محاضرات في تطبيقات علم البيان، دار هومة، (دط)، بوزريعة، الجزائر، 2010م.

42. علي محمد الصلابي، الدولة الأموية (عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار)، دار المعرفة، ط2، بيروت، لبنان، 2008م، ج1.

43. عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النَّظرية التَّداوليَّة، الأمل للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، تيزي وزو، الجزائر ط2، 2013م.

44. عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (دط)، (دت)، ج1، ج2.

45. فضل حسين عبّاس، البلاغة فنونها وأفنانها، دار النّفائس، ط12، عمّان، الأردن، 2009م، ج2.
46. فهد خليل زايد، البلاغة بين البيان والبديع، دار يافا العلمية، ط1، عمان، الأردن، 2009م.
47. محمد أبو الحسن ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مراجعة: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1987م/ 1407هـ، ج4.
48. محمد أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، ط5، بيروت، لبنان، 1999م.
49. محمد ألتونخي، معجم علوم اللغة العربية، دار الجيل، ط1، بيروت، لبنان، 2003م.
50. محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 1417هـ/ 1997م ج4.
51. محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط3، القاهرة، مصر، 1997م.
52. محمد خطابي، لسانيات النَّص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1991م.
53. محمد طاهر الحمصي، مباحث في علم المعاني، منشورات جامعه البعث، ط2، 1996م.
54. محمد محمود السيد، الدرس التَّداولي في ضوء علم الغة الحديث، مكتبة دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (دط)، 2010م.
55. محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللُّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعيَّة، (دط)، 2002م.
56. محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،
57. محمود زيادة، الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، دار السَّلام للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، ط1، مصر، 1415هـ/ 1995م.
58. محمود عكاشة، النَّظريَّة البراجماتيَّة اللِّسانيَّة (التَّداوليَّة) "دراسة المفاهيم والنَّشأة والمبادئ"، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2012م.
59. مرتضى جبار كاظم، اللسانيات التداوليّة في الخطاب القانوني، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط1، 2015م.

60. مسعود صحرواي، التَّداوليَّة عند علماء العرب،"دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.

61. منذر عياشي، اللسانيات والدلالة (الكلمة)، مركز الانماء الحضاري، ط1، حلب، سوريا، 1996م.

62. نادية رمضان النَّجار، الاتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللُّغوي، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، مصر، ط1، 2012م.

63. نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النَّص وتحليل الخطاب ـ دراسة معجميَّة ـ، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2009م.

64. هشام إ. عبد الله الخليفة، نظرية الفعل الكلامي Speech Act Theory (بين علم اللّغة الحديث والمباحث اللُّغويَّة في التُّراث العربي والإسلامي)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2007م.

ب. المصادر والمراجع المترجمة:

65. تون فان دايك، النَّص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، (دط)، 2000م.

66. تون فان دايك، علم النَّص (مدخل متداخل الاختصاصات)، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2001م.

67. جاك موشلر وآن روبول، التداولية اليوم، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ط1، 2003م.

68. جورج يول، التداولية، تر: قصي العتَّابي، دار العلوم العربية ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010م.

69. جوليا كريستيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1997م.

70. جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة "كيف ننجز الأشياء بالكلام"، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، (دط)، (دت).

71. جون سيرل، اللغة والمجتمع والعقل (الفلسفة في العالم الواقعي)، تر: سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم، ـ منشورات الاختلاف ـ المركز الثقافي العربي، ط1، 2006م.

72. جيليان براون وجورج يول، تحليل الخطاب، تر: لطفي الزليطني، منير التريكي، النشر العلمي والمطابع، (دط)، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1418هـ/ 1997م.

73. دومينيك منغنو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 2008م.

74. رالف وين، قاموس جون ديوي للتربية، تر: محمد علي العريان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، (دط)، 1964م.

75. روبرت دي بوجراند، النَّص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1998م.

76. فرانسواز أرمينكو، المقاربة التَّداوليَّة، تر: سعيد علوش، دار الإنماء العربي، الرباط، المغرب، (دط)، 1986م.

77. فولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللُّغة النَّصي، تر: فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، (دط)، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1998م.

78. فيليب بلانشيه، التَّداوليَّة من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنَّشر والتَّوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 2007م.

79. كاترين كيريرات أركيوني، المضمر، تر: ريتا خاطر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2008م.

80. وليام جيمس، البراجماتية، تر: محمد علي العريان، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، (دط)، 2008م.

ج. المجلات والحوليات:

81. بسَّام البركة، المجاز المرسل والحداثة، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 38، 1986م.

82. الحسين أخدوش، نظرية أفعال اللغة عند الفيلسوف أوستين (أسسها وحدودها الفلسفية)، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، مؤمنون بلا حدود، 21 أكتوبر 2016م.

83. حمدي منصور جودي، بين تداولية الأفعال الكلامية والحجاج (مقاربة مفاهيمية)، حوليات المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد الأول، ديسمبر 2013م.

84. خديجة بوخشة، أفعال الكلام في شعر رمضان حمود، مجلة حوليات التراث، مجلة مستغانم، العدد20، 2020م.

85. سعد مصلوح، نحو أجرومية للنَّص الشعري: (دراسة في قصيدة جاهلية)، مجلة فصول، مصر، المجلد10، العدد1.

86. محمد أرشد الحسن، خطب الحجاج بن يوسف الثقفي الوعظية دراسة في ضوء نظرية الاتصال الأدبي، مجلة التجديد، المجلد العشرون، العدد: 40، 2016م/ 1438هـ.

87. نزيهة زكور، قضايا التداولية في التراث العربي أفعال الكلام – أنموذجا –، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، العدد الخامس.

د. **الرسائل الجامعية:**

88. عبد القادر جعيدير، الإشاريات في شرح المفصل لابن يعيش (مقاربة تداولية نصية)، مذكرة ماجيستير، تخصص: علوم اللسان وتحليل الخطاب، جامعة غرداية، كلية الآداب واللّغات، قسم اللغة والأدب العربي، 2015/2014م.

89. مسعود صحراوي، الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي، رسالة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، كلية الآداب واللغة العربية، 2004م.

هـ. **المواقع الإلكترونية:**

90. عبد الحليم بن عيسى، محاضرة بعنوان: " الفعل الكلامي النَّصي" نماذج تطبيقية من قصيدة وتعطلت لغة الكلام لمفدي زكريا، ص02. https://elearn.univ-oran1.dz/enrol/index.php?id=6436 ، تاريخ الزيارة: 2022/05/23، على الساعة: 15:45.

فهرس المحتويات

شكر وعرفان	
الإهداء	
الإهداء	
مقدمة	أ-ج
الفصل الأوَّل: مفاهيم أساسية حول التّداولية وأفعال الكلام	
المبحث الأوَّل: التَّداوليَّة.	
تمهيد.	07
المطلب الأول : مفهوم التَّداوليَّة.	08
أ. التَّداوليَّة لغة.	08
ب. التداولية اصطلاحا.	08
المطلب الثاني: نشأة التَّداوليَّة وتطورها.	11
المطلب الثالث: قضايا التَّداوليَّة.	13
الإشاريات أو الكنائيات.	13
الاستلزام الحواري.	14
السياق.	14
متضمنات القول.	15
نظرية الملاءمة.	16
الحجاج	17
المبحث الثاني: أفعال الكلام.	
المطلب الأول: نشأة أفعال الكلام وتطورها.	19
المطلب الثاني: مفهوم الفعل الكلامي.	21
المطلب الثالث: عناصر الفعل الكلامي.	22

المطلب الرابع: أنواع الفعل الكلامي.	24
أ. تصنيف الفعل الكلامي عند أوستين.	24
الحكميات (أفعال الأحكام) Verdictives.	24
الإنفاذيات (التمرسية) Exercitives.	24
الوعديات (أفعال التعهُّد) Commissives.	24
السّلوكيات Behabitives.	24
العرضيات (أفعال العرض) Expositives.	25
ب. تصنيف جون سيرل لأفعال الكلام.	25
الإخباريات Assertives.	25
التعبيريات Expressives.	25
التوجيهيات Directives.	26
الوعديات Commissives.	26
التصريحيات Declaratives.	26
الفصل الثاني: أفعال الكلام في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي	
تمهيد	31
1. نبذة تاريخية عن حياة الحجاج بن يوسف الثقفي.	32
2. التعريف بالمدونة: جمهرة خطب العرب (في عصور العربية الزاهرة).	33
المبحث الأول: الأفعال الكلامية في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي.	
المطلب الأول: الوعديات.	37
المطلب الثاني: الإخباريات.	40
المطلب الثالث: التوجيهيات.	43
المطلب الرابع: التعبيريات.	46
المطلب الخامس: التصريحيات.	49

المبحث الثاني: بلاغة الخطاب والفعل الكلامي في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي.	
المطلب الأول: الحقيقة والمجاز في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي.	51
المطلب الثاني: تأثير التعابير المجازية على مقصدية الخطاب في خطب الحجاج.	61
المبحث الثالث: الفعل الكلامي والنَّص في خطب الحجاج.	
المطلب الأول: النَّصيّة ومعاييرها في خطب الحجاج.	62
المطلب الثاني: النَّص باعتباره فعلا كلاميا في خطب الحجاج.	73
خاتمة.	78
المصادر والمراجع.	83
فهرس المحتويات.	91

.

تم بحمد الله